الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÉRE DE L'ENSEINEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵖⵏⴻⵣⵔⵉⵙⵏⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴻⵔⵉ ⴷⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴷ ⵜⵜⵓⵙⵏⴰⵡⵉⵏ

ⵜⴰⵙⵙⵏⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴷ ⵜⵜⵓⵙⵏⴰⵡⵉⵏ ⵜⵉⵎⵓⵔⴰⵏⵉⵏ

جامعة مولود معمري،تيزي – وزو

كلّية الأداب و اللّغات

قسم اللّغة و آدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et Littérature Arabes

التخصص:أدب جزائري

الفرع:دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر (ل.م.د)

الموضوع:

تعدد الأصوات في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري

إعداد الطالبة: **إشراف:**

كنزة زايدي **أ. د. نبيلة زويش**

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/– نورة بعيو، أستاذة التعليم العالي،جامعة مولود معمري،تيزي وزو ..... رئيسة.

أ.د/– نبيلة زويش،أستاذة التعليم العالي،جامعة مولود معمري،تيزي وزو ..... مشرفة ومقررة

د/– نسيمة لعداوي، أستاذة محاضرة "أ"،جامعة مولود معمري،تيزي وزو ..... ممتحنة

السنة الجامعية: 2024/2023

كلمة الشكر والتقدير

بداية أحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه حمدا حتى يبلغ منتهاه فالشكر له في توفيقه لي لإتمام هذا البحث وأمدني بالصبر والعزيمة والقوة والإرادة بكل تواضع واحترام أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة"نبيلة زويش" وتقويمها لأخطائي وتشجعيها لي حتى أنجز هذا البحث، كذلك أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة عبدلي فروجة كما أتقدم بالشكر إلى كل أعضاء اللجنة المناقشة كل من الأستاذة ،الدكتورة نورة بعيو و أ.د نسيمة لعداوي.

الإهداء

الحمد لله أولا وآخرا أشكر الله على بداية ونهاية هذه المرحلة وكما قيل أن "فرحة النهايات تنسيك تعب البدايات"، ها أنا أرى مرحتلي الدراسية قد اقتربت من نهايتها بعد سنوات من الجهد والتعب في سبيل تحقيق حلمي، اللهم لك الحمد فقد منحتني القدرة على تحقيق هذا النجاح، وتحقيق حلمي وبكل حب أهدي نجاحي وتخرجي:

إلى أغلى وأعز إنسانة في حياتي، التي أنارت دربي بنصائحها وزينت أيامي بنور القمر إلى من منحتني القوة والعزيمة على الاستمرار وعلمتني الصبر والإجتهاد، إلى الغالية على قلبي، أمي الحبيبة حفظك الله ورعاك.

إلى من انحنى ظهره في سبيل وصولي إلى هذه المرحلة إلى عزتي وفخري، إلى قوتي وإلهامي إلى ملاذي ونور دربي ودقات قلبي إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى من منحني كل ما يملك لتحقيق آمالي أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى سندي ومصدر قوتي إلى داعمي إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي أخي الغالي مصطفى.

إلى الورود البهية إخوتي وأخواتي ليندة، نجمة، ريان.

إلى كل العائلة الكريمة.

إلى كل من تحلو معهم الحياة صديقاتي الغاليات.

إلى كل من نسيه القلم وحفظه القلب.

إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد .

مقدمة

شهدت الرواية الجزائرية المعاصرة عدة تحولاتبين بقية الأجناس ولاسيما على مستوى بنيتهاإلى ماتزال مشروعا مفتوحا قابلا للتطور و التغير ، ونتيجة لذلك ظهرت الرواية المتعددة الأصوات والتي أسقطت الأسس التي قامت عليها الرواية الكلاسيكية بحيث أن الرواية المتعددة الأصوات إستطاعت التخلص من أحادية المنظور والصوت الواحد ومنحت المجال لظهور الرواية البوليفونية حيث يتعدد فيها الرواة ويتنوعون ، الأمر الذي جعل التجارب الروائية الجديدة تتجاوز الكتابة التقليدية السائدة، ومن أبرز الأصوات الروائية الجزائري التي تجاوزت الرواية مونولوجية الكاتب :"محمد ساري" وبخاصة في روايته الموسومة ب:"القلاع المتآكلة" التي تعتبر واحدة من النماذج التي تمثل الرواية البوليفونية وعلى هذا الأساس سنسعى لتحليل هذه الرواية التي تكشف عن تفاعل عدة رؤى اجتمعت في مسار حكائي يكشف عن صراعات و ايديولوجيات مختلفة أسست لتعدد الأصوات فيها وقد تجلى ذلك على مستوى شخصياتها و لذلك جعلنا عنوان بحثنا: "تعدد الأصوات في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري".

ولعل الدافع الرئيس لاختيارنا هذا الموضوعهو اك بشاف تقنية "تعدد الأصوات" في الرواية الجزائرية، كذلك اهتمامنا برواية "القلاع المتآكلة" التي اعتبرناها نموذجا حيايتميز بتعدد الأصوات،وهو الموضوع الذي لفت انتباه العديد من الدارسين والباحثين مثل "محمد برادة" الذي تناول تقنية تعدد الأصوات في كتابه "أسئلة النقد أسئلة الرواية تقنية تعدد الأصوات"،وأيضا ترجمته كتاب الخطاب الروائي (ميخائيل باختين)،بالإضافة إلى أعمال "حميد الحمداني" والتي نجد من بينها أسلوبية الرواية والذي وضف فيها هذا العنصر وبالإضافة إلى مجموعة من البحوث الأكاديمية الجزائرية التي تطرقت لهذا الموضوع ونذكر منها أطروحة أ.د نورة بعيو و د. فروجة عبدلي .

وانطلاقا من مفاهيم تعدد الأصوات والحوارية بصفة عامة خصصنا هذا البحث لدراسة ظاهرة التعدد الصوتي في الرواية المعنية،معتمدين على "آليات النقد الحواري

لميخائيل باختين،حيث يعد الأنسب لتحليل تعدد الأصوات،وتتمحور اشكالية البحث حول مجموعة من التساؤلات :

-ماهو مفهوم تعدد الأصوات؟

-ماهي مقومات الرواية البوليفونية؟

-كيف تجلت البوليفونية في الرواية القلاع المتآكلة ؟

أما الهدف من هذا البحث هو الكشف عن خصوصية الكتابة في هذا النوع من الروايات، من خلال دراسة رواية "القلاع المتآكلة"،وكذا تطبيق مقومات الخطاب البوليفوني عليها.بالإضافة الى محاولة فهم الجوانب الرئيسية المتعلقة بنظرية الصوت المتعدد واستكشاف تمثلات خصائصه وميزاته في نص الرواية.

وقد اتبعنا في ذلك خطة قوامها مقدمة وفصلين ثم خاتمة إضافة الى ملحق يتضمن التعريف بالكاتب وملخص الرواية.

تضمنت المقدمة تمهيدا للموضوع،أما الفصل الأول فقد خصصناه للغوص في الجانب النظري فتطرقنا فيه الى دراسة الحوارية،بما فيها البوليفونية ثم تعريفها لغة واصطلاحا،اضافة الى التعريف بمقومات الرواية البوليفونية من تعدد أشكال الوعي وتعدد وجهات النظر وتعدد الإيديولوجية وتعدد الشخصيات الروائية والمواقف الفكرية .

أما الفصل التطبيقي فعنوناه ب"تجليات البوليفونية في رواية القلاع المتآكلة"حيثقسمناه الى الأصوات كشخصيات حاضرة في الرواية م ثلا لصوت المثقف والصوت المتحرر الخ. بالإضافة الى خاتمة أين ذكرنا أهم النتائج المتحصل عليها وكان أهمها :

– ظهور الرواية البوليفونية ا الذي ارتبط بـلناقد الروسي مخائيل باختين فقد اختار مصطلح التعدد الصوتي للتعبير عن أشكال الوعي والصراع في الرواية.

– كما تبين لنا الرواية المتعددة الأصوات تقوم على تعدد الشخصيات وتعدد اللغات الأيديولوجيات وأنماط الوعي و تتمتع شخصيات الرواية باستقلاليتها وتمارس وعيها بحرية دون ضغوط.

ومن الصعوبات التي واجهتنا خلال عملية البحث كثرة المراجع النظرية في مقابل نقص المراجع التطبيقية، واختلاف تطبيق آليات الحوارية من باحث لآخر لأنه الأساس فهو أصلا ظهر المصطلح في مصدره الأصلي وتعاون المترجمون والنقاد في المرجعية الفكرية والفلسفية وكذا اللغوية.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي أعانتنا في بحثنا من بينها كتابي ميخائيل باختين "شعرية دوستويفسكي " و"الخطاب الروائي "، وكذلك كتابي الحميد حمداني "أسلوبية الرواية "و"النقد الروائي والإيديولوجيا" بالإضافة إلى المراجع السابقة الذكر.

وفي الختام نتقدم بفائق الشكر والاحترام والتقدير ل لأستاذة المشرفة الدكتورة نبيلة زويش، على نصائحها وتوجيهاتها ،كما نشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على تكبد عناء التصحيح ومراجعة بحثي.

الفصل الأوّل:

تحديد المفاهيم والمصطلحات

1- تعريف الحوارية.

2- التعددية الصوتية (البوليفونية).

3- الرواية البوليفونية .

4- الرواية المونولوجية .

5- مقومات الرواية البوليفونية .

أ- التعدد في المواقف الإيديولوجية .

ب- التعدد في أنماط الوعي.

ج- تعدد الشخصيات (الأصوات).

د- التعدد في الطروحات الفكرية .

هـ- التعدد في وجهات النظر (الرؤى) .

1- تعريف الحوارية:

عرف مفهوم الحوارية والبوليفونية تطورا مهما على يد الناقد الروسي ميخائيل باختين[*]،قبل أن يتم إعادةتعريفها من مجموعة من النقاد وفي معنى قول باختينيرى أن الحوارية تختص بالخطاب في شكله العام أما البوليفونية فيرى أنها مجموعة من الأصوات المتعددة التي تعبر عن وعي مستقل داخل الرواية وذلك من خلال مؤلفاته النقدية :" شعرية دوستويفسكي"،" الخطاب الروائيّ، الكلمة في الرواية" هذان العنصران ضمنا كتاب نظرية وجمالية الرواية فهو من أكد على وجود الحوار في أي عمل أدبي خاصة في الرواية فهي مرتبطة بالأجناس النثرية فالحوار بالنسبة له أساس التفاهم والتعايش في الحياة بأسرها ويعتقد أن الكون بأكمله يقوم على الحوار"فهو يستعمله للإشارة إلى علاقة الاستجابة والتبادل بين القارئ والنص عبر المفردات التي تعتبر علامات إيديولوجية تصنع بطريقة معينة حوارا مع الآخر تجعله يدخل في سياقه الخاص في سياق آخر تتقاطع فيه الرؤى المختلفة للعالم"[1] .

جاء في معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ."أن الحوارية يطلق في البلاغة للدلالة على الطريقة المتمثلة في تضمين حوار خيالي في صلب الملفوظ" [2]، إرتبطت الحوارية بالبلاغة وذلك للإشارة إلى وجود حوار خيالي كعنصر أساسي في نص ما.

---

[*]- ميخائل باختيناقد روسي ولد عام 1885 في أورويل –الاتحاد السوفياتي- ابن عائلة أرستقراطية ما لبث أن معدمة، درس فقه اللغة غي جامعة تبروغراد عام 1918 وفي عام 1929 نشر كتابه "مشكلات عمل دوستويفسكي" وأعاد نشره عام 1963 بعد أن توسع فيه وبعد ان تدهورت صحته استقر في موسكو عام 1969 وتوفي سنة 1975 عن عمر يناهز الثمانين عاما "ينظر تيزيفتان تدوروف : ميخائل باختين والمبدأ الحواري تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، 1996، ص23، ص25، ص26.

[1]- سمير حجازي:" المتفق" معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة (فرنسي- عربي- عربي- فرنسي)، دار راتب للنشروالتوزيع، القبة، الجزائر، دت، ص207.

[2]- دومينيك مانغونو:" المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب"، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1 2008، ص 36.

فالحوارية عند باختين "دمج ماهو اجتماعي في مكونات النص للدلالة وليفرق بين ماهو إيديولوجي ماهو لغوي [1]، و تتكون من تقاطع جوانب اجتماعية وإيديولوجية حيث تتلاقى وتتصارع لتشكل نصا لغويا يحمل معنى محددا، يقول " إن التوجه الحواري هو ظاهرة مشخصة لكل خطاب وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته، ولا يستطيع شيئا سوى الدخول معه في تفاعل جاد وحي"[2]، فنفهم أن كلام الإنسان تم اقتباسه من الأحاديث والخطابات السابقة فهو لم ينشأ من العدم، كم أن للحوارية أهمية داخل النص الروائي و أكدت الناقدة "يمنى العيد" ذلك بقولها: عندما تعمل الحوارية على إدماج أسلوب الكاتب وإيديولوجيته في إطار صراع مجموع الرؤى لتعبر عن درجة عالية من الوعي الشمولي بالواقع، كونها تحقق نوعا من الديمقراطية في النص" [3]، وعليه تشدد يمنى العيد على أهمية عدم تسلط الكاتب على شخصياته الروائية وعلى ضرورة مشاركتهم في صياغة الأفكار والمواقف، ويجب على الكاتب أن يتبنى مبدأ الديمقراطية في تعامله مع شخصياته، وأن يتعامل معهم على قدم المساواة لتحقيق وعي شامل في النص.

يحيلنا مصطلح الحوارية مباشرة إلى صلة بينه وبين الحوار والذي يعتبر تبادلا للأفكار والآراء بين مجموعة من الأفراد في سياق معين، أي أنه يتضمن تبادل الحديث الشخصي بين شخصين أو أكثر"[4].

وقد جسد باختين الطالع الحواري في آليات ثلاث: التنوع الكلامي والاسلوبي ، التعدد الصوتي ، التعدد اللغوي.

---

[1]– حميد الحمداني:" النقد الروائي والإيديولوجيا" من سوسيوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي "، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990، ص48

[2]– تزفيتان تودوروف:" ميخائيل باختين المبدأ الحواري،ص 125.

[3]– يمنى العيد:" الراوي، الموقع والشكل"، مؤسسة الابحاث العربية، لبنان، ط1، 1986، ص177.

[4]– ينظر ميخائييل باختين: "الخطاب الروائي"،تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1987، ص ص53، 54.

بناء على مفهوم آخر يصطلح على أن الحوارية قريبة من مفهوم التناص فقد ظهر على يد "جوليا كريستيفا" التي اقتبسته من أفكار ميخائيل باختين حول موضوع وأطلقت عليه مصطلحا جديدا، فالعلاقة بين النصوص ليست دائما تناصا هذا ما رآه "تزفيطان تودوروف" فقد قال:" العلاقات بين المتغيرات ليست جميعها ذات طبيعة تناصية بالضرورة، إذ ينبغي استبعاد العلاقة المنطقية من دائرة الحوارية فهذه العلاقة بذاتها تتضمن تناصا"[1].

تظهر الحوارية في الخطاب الروائي وذلك أن الرواية تقوم على تعددية الأصوات وتعددية اللغات بسبب التنوع في الشخصيات ولاعتبارها من آليات اشتغال الحوارية فهي تجمع خطابات مختلفة وتضعها في علاقة مواجهة تجعلها تتعايش وتتحاور وتتعامل مع بعضها البعض باستمرار فإن الرواية لا تقوم على تأييد خطاب المتسلط بل على العكس من ذلك فهو يقوم على الحوار الذي ينشأ من أصوات مختلفة[2].

2- التعددية الصوتية(البوليفونية):

أ- تعريف البوليفونية لغة:

ورد تعريف البوليفونية "في القاموس الفرنسي" la rousse" على أنه مصطلح يتكون من كلمتين هما(poly) وتعني متعدد، في حين (phonie) تعني الصوت" [3]وبالتالي يمكننا أن نفهم أن البوليفونية تشير إلى التعدد الصوتي وهو مصطلح يتكون من لفظين فهي مزيج بين الألحان الموسيقية المتجانسة فيما بينها، وفي القاموس " hachette" ورد تعريفها كما يلي:"مركب يتكون من عدة أصوات، يلاعبها الموسيقار أو المغني، كما أنها مجموعة آراء مختلفة حول نفس القضية" [4]، أي أنها مجموعة أصوات وشخصيات مختلفة التي تتحد

---

[1]- تزفيطان تودوروف:" المبدأ الحواري"، ص122

[2]- ينظر :شرفي عبد الكريم:" مفهوم التناص من حوارية باختين إلى أطراس جيرار جونيت"، دورية دراسات أدبية، دار الخلود للنشر والتوزيع، الجزائر ،دط، 2008، ص70

[3]- Dictionnaire de Français, Edition du seuil, Paris,1997-p326

[4]- Dictionnaire hachette, livre 25-28 rue bluesmen ,cs7000792178 ,vanve scepex,p1278 .

لتشكل نغمة موسيقية كأنهاجوقا موسيقي حيث يكون لكل صوت دوره ودلالته الخاصة ووجهة نظره الفريدة في قضية معينة ، والكلمة ليست عربية وإنما عربت ،بمعنى أنها نقلت كما هي من اللغة الفرنسية وترجمت ب:التعدد الصوتي كترجمة صرفية ،ولكنها تبدو دقيقة .

ب- تعريف البوليفونيةاصطلاحا:

ظهر مصطلح البوليفونية في الدراسات النقدية المعاصرة، و يعود الفضل في انتشار هذا المصطلح إلى الناقد الروسي ميخائيل باختين لأنه جذور تعود إلى المدرسة الألمانية من خلال دراساته لمؤلفات دوستويفسكي ولا سيما رواية "الجريمة والعقاب"، ويعرفها محمد القاضي في معجمه السرديات "بأنه استعارة استعملها دارسوا الكلام وقد أخذوها من مجال الموسيقى، حيث يعنى التناسق القائم بين الأصوات والمقامات الموسيقية في النغم الواحد، بمعنى أن هذا المصطلح أخذ من عالم الموسيقى وأن أول ظهور له في مجال القول كان دراسة باختين للملافيظ الروائية لدى دوستويفسكي وقد استعمل مصطلحا رديفا للتعدد الصوتي وهو الحوارية ومن أهم ما يعنيه هذا المصطلح يستعمل على أصوات وآراء منسوبة إلى آخرين غير الذي قال القول" [1]، وبالتالي فالبوليفونية مصطلح اخذ من الموسيقى وأدخل إلى ميدان الأدب والنقد ، وميخائيل باختين نفسه يصرح بذلك:" فالمصطلح أخذ من الموسيقى فمزج أصوات متعددة داخل العمل الروائي يشبه مزج أصوات داخل عمل موسيقي"[2]، بمعنى أن البوليفونية في الأدب عبارة عن تجسيد عمودي لصورة المقطوعة الموسيقية.

ويعرف باختين التعدد الصوتي على أنه" ليس تعددا للأصوات الجوفاء كما عند البنيويين والشكلانيين الروس بل هو تعدد للأصوات المشحونة بإيديولوجيات مختلفة ومنطلق باختين في ذلك أن الرواية في حاجة إلى قائلين يحملون إليها خطاباتهم الإيديولوجية الخاصة، فالمتكلم يمكن أن يشمل على أصوات مختلفة وكل صوت يتميز بصورة إيديولوجية

[1]- محمد قاضي وآخرون: "معجم السرديات"، محمد علي للنشر، تونس ،ط1، 2010، ص101.

[2]- ميخائيل باختين:"شعرية دوستويفسكي"، تر: جميل التكريتي، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، 1986، ص15.

مخصوصة"[1]، بمعنى أن تعدد الأصوات هو تنوع وتداخل إيديولوجي، ويختفي الرّاوي فاسحا المجال للشخصيات لتعبر عن إيديولوجياتها ووعيها ورؤاها بكل حرية واستقلالية دون أيما تدخل.

3- الرواية البوليفونية:

لقد عمل باختين على التمثيل للرواية البوليفونية من خلال مؤلفاته عن شعرية دوستويفسكي" حيث يرىأن هذه الرواية تشمل على تباين لغوي بمختلف الأساليب واللهجات فعرفها في قوله:" إن الرواية البوليفونية (المتعددة الأصوات) ذات طابع حواري على نطاق واسع وبين جميع عناصر البيئة الروائية توجد دائما علاقات حوارية فهي ظاهرة أكثر انتشارا من العلاقات بين الردود الخاصة بالحوار الذي يجري التعبير عنه خلال التكوين" [2] وبالتالي فإن انتقال مصطلح تعدد الأصوات من عالم الموسيقى إلى عالم الرواية يرتكز في الأساس على فكرة التداخل بين العلاقات والتفاعل بينها، فقد اعتبر باختين دوستويفسكي خالق هذا الشكل الروائي الجديد ورائده، ويؤكد على ذلك في أكثر من موضع في كتابه "شعرية دوستويفسكي" و"الماركسية وفلسفة اللغة" حيث قال:" إنه خالق الرواية المتعددة الأصوات، لقد أوجد صنفا روائيا جديدا بصورة جوهرية" [3]، ومن هنا نفهم أن دوستويفسكي قد فتح للرواية آفاقا لتسلك طريقا جديدا خاصة من الناحية الفنية، ويشترط في الرواية البوليفونية وجود التصادم والصراع بين الشخصيات من بدايتها إلى نهايتها مع عدم الوصول إلى اتفاق ينص وينتهي بنهاية تلائمه دونما تدخل من قبل الروائي، فالرواية البوليفونية تقوم على التعدد اللغوي [4]، والأسلوبي كي تثبت حواريتها وذلك من خلال طرح الشخصيات لمنظوراتها.

---

[1]- محمد قاضي:"معجم السرديات"، ص 101.

[2]- ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص 59.

[3]- المرجع نفسه، ص11

[4]- التعدد اللغوي: هو تفكك اللغة الواحدة إلى لهجات عديدة، حيث يتيح هذا التفكك الداخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية وطرق تعبير خاصة بمجموعات معينة ولغات أجيال وأعمار متفاوتة ولغات اتجاهات ولغات أفراد ذوي نفوذ وكلمة موسوعة ولغات وحلقات ....هذا التفكك الداخلي لكل لغة في كل لحظة من لحظات وجودها الاجتماعي هو المقدمة للجنس الروائي، ميخائييل باختين :" الكلمة في الرواية:، ص11.

ويعتبر جميل حمداوي الرواية البوليفونية " رواية متعددة الأصوات تقدم عصارتها الإبداعية وأطروحاتها المرجعية عبر أصوات متعددة، وهذا ما يجعل القارئ الضمني الواعي الإيديولوجي الذي يلائمه دون أن يكون المتلقي وذلك متلبسا أو مخدوعا من قبل السارد..."[1]، أي أن الرواية تتميز بتنوع اللغات والشخصيات المتعددة حيث تهدف إلى إشراك جميع القراء المستهدفين في التعبير عن آرائهم بحرية وصدق، وبالتالي تبرز الرواية ذات الأصوات المتعددة بشكل كبير عن الرواية ذات الموقف والراوي الواحد، إذ تضم آراء متناقضة ومتباينة مما يسمح بالتعبير عن وجهات نظرها بحرية تامة، وبالتالي تحقق صراعا أيديولوجيا.

كما أكد عبد المالك مرتاض أن "تعدد الشخصيات الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولاختلافاتها من حدود" [2]، فكلما تعددت الرؤى والمنظورات والأصوات والإيديولوجيات تعددت الشخصيات المختلفة في الأسماء والأفعال والأحداث، فالرواية البوليفونية تحتوي على مجموعة متنوعة من الأصوات التي تجسد شخصيات مختلفة التي لا تخضع لكلمة المؤلف بل لها كلمتها الخاصة، هذا ما يجعلها تتمتع بالاستقلالية وحرية التعبير عن أفكارها وإيديولوجيتها[3].

يقول ميخائيل باختين "إن الرواية البوليفونية تبنى على تعدد المنظورات السردية (ضمير المتكلم، المخاطب، الغائب) وتعدد الرواة والسراد الذين يعبرون عن اختلاف وجهات النظر تواصلا وتبليغا واقناعا"[4]، أي بمعنى أن الرواية المتعددة الأصوات في مجملها رواية غير تقليدية، حيث تحتوي على أصوات متعددة بدلا من صوت واحد، فهي تتميز بتقديم

---

[1]–جميل حمداوي:" المقاربة الكرونوطوبية بين النظرية والتطبيق"، ط1، 2017، ص11

[2]– عبد المالك مرتاض:" في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد"، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1990، ص73.

[3]– ينظر سامية داودي:" صوت المرأة في روايات ابراهيم سعد ي"، أطروحة دكتوراه، مخطوط جامعة مولود معمري، الجزائر، دت، ص47.

[4]– جميل حمداوي:" المقاربات الكرونوطوبية بين النظرية والتطبيق"، ص13.

وجهات نظر مختلفة لكل شخصية فيها وتحتوي على عدد كبير من الرواة واختلاف في آرائهم الإيديولوجية وكل ذلك يحدث داخل نص واحد، كما ذكر في كتبه التي عرضت إلكترونيا "أنواع المقاربات البوليفونية" وكتابه" المقاربات الكرونوطوبية بين النظرية والتطبيق" حيث تحدث عن البوليفونية بأنواعها وذكر في البوليفونية الأدبية من خلال قوله: هكذا فجميع لغات اللساني مهما تكن الطريقة التي وردت بها، هي وجهات نظر نوعية حول العالم، وإشكال لتأويله اللفظي ومتطورات غير دلالية وخلافية "[1]، بمعنى أنه بغض النظر عن طريقة التخاطب والتعددية في اللغات اللسانية، فإن كل لغة تعبر عن وجهات نظر ولا تحمل أي طريقة أو إيديولوجية معينة.

كما تحدث ميخائيل باختين عن أهمية البطل "البطل مهم بالنسبة إلى دوستويفكي لإعتباره ظاهرة من ظواهر الواقع" [2]، ويقول أيضا:" البطل يهم دوستويفسكي بوصفه وجهة نظر محددة على العالم وعلى نفسه هو بالذات "[3]، من خلال القولين السابقين نفهم ان دوستويفسكي له رؤية أساسية ترتكز على أن الأمر الأهم بالنسبة للبطل هو كيفية نظره للعالم وكيف ينظر إلى نفسه.

4- الرواية المونولوجية:

تعتبر الرواية المونولوجية النوع الآخر الذي يقابل الرواية البوليفونية، حيث تتميز بتحديد الرؤية بناء على العلاقة بين الكاتب والشخصية الروائية، فباختين يفضل الرواية البوليفونية على الرواية المونولوجية، حيث تتميز بتعدد الاصوات واللغات المختلفة وتنوع الخطاب والتصورات الإيديولوجية، ويمكن للقارئ اختيار الموقف الذي يتناسب معه، أما الرواية المونولوجية فيراها "رواية تقدم رؤية واحدة للعالم وذلك لغياب الصراع الإيديولوجي ووجهات النظر بين الشخصيات، وأن هذه الرؤية الوحيدة للعالم تخص المؤلف فقط الذي

2_ المرجع نفسه ص14

[2]- ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص59.

[3]- المرجع نفسه، ص67.

يأخذ دور المسيطر والمتحكم في السرد، فتتقيد الشخصيات وتفقد حريتها، فتصبح أداة المؤلف للتعبير عن صوته ووجهة نظره" [1]، فيتبين لنا من خلال هذا القول أن ما يميز الرواية المونولوجية هو أن المتكلم يتكلم بصوت واحد، حيث يسيطر صوته على جميع الأصوات الاخرى في الرواية فهي :" تعمل على نفي وجهات النظر والأفكار المختلفة والإيديولوجيات المغايرة مما يترتب عنه هيمنة وسيادة وجهة نظر واحدة على الخطاب الروائي"[2]، أي أن الرواية تهيمن بكلمة واحدة، وهي كلمة الكاتب، بينما تعتبر الشخصيات مجرد ناطقين بلسان الرسالة التي ينقلها الكاتب فقط.

تعد الرواية المونولوجية رواية الصوت الواحد والفكرة الواحدة، وتعتمد على تصور إيديولوجي محدد، يتميز السرد في هذا النوع من الروايات بالتركيز على وحدة السرد والتركيز على فكرة واحدة.

يتم اختيار الشخصيات في الرواية المونولوجية بطريقة تقليدية من قبل الروائي حيث"كان الروائي التقليدي يلهث وراء الشخصيات ذات الطابع الخاص لكي يبلورها في عمله الروائي فتكون صورة مصغرة للعالم الواقعي" [3]، أي يعمل على اختيار الشخصيات وفقا لاختياراته الشخصية وهذا ما يمكنه من جعلهم شخصيات رئيسة في الرواية، بينما في الرواية المونولوجية تصبح الشخصيات فاقدة لحريتها واستقلاليتها" والتي تكون علاقة تحكم وسيطرة، ويكون البطل داخل الشكل منغلقا كما أن الدلالات المحيطة به تكون محدودية النوعية"[4]، أي أن الشخصية تصبح وسيلة للتعبير عن آراء الكاتب وإيديولوجيته.

بناء على ما ذكر فإن الرواية المونولوجية تعتمد على الراوي المطلق الذي يعرف كل شيء ويتبنى وجهة نظر واحدة وإيديولوجية واحدة، ما ينتج عنه رؤية واحدة ولغة واحدة.

---

[1]– ينظر محمد بوعزة:" تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم"، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط 1، 2010، ص 28، ص29.

[2]– المرجع نفسه، ص29.

[3]– عبد المالك مرتاض:" في نظرية الرواية"، ص73.

[4]– عبد المجيد الحسيب: "حوارية الفن الروائي"، منشورات مجموعة الباحثين– المغرب، 2007، ص30.

ومن هنا نذكر أن الرواية البوليفونية تختلف عن الرواية المونولوجية في شكلها ومضمونها، والجدول الآتي يلخص أهم الفروقات بينهما:

الرواية البوليفونية/حضور مبدأ التصادم	الرواية المونولوجية/ مبدأ التصادم
– تعدد الإيديولوجيات	– إيديولوجية واحدة
– تعدد وجهات النظر	– وجهة نظر واحدة
– تعدد الشخصيات	– شخصية واحدة
– تعدد الحكايا	– حكاية واحدة
– تعدد أشكال الوعي	– وعي واحد
– تعدد الرواة	– راو واحد

خطاطة توضح الفرق بين الرواية البوليفونية والرواية المونولوجية[1]

–يبدو أن التعدد المقصود في الشخصيات ليس كونها شخصية واحدة/عددا ، وإنما الوعي والرؤيا واحدة هي رؤيا الكاتب فجميع الشخصيات و الرواة يمثلون المؤلف المتحكم في كل مسار الحكاية من بدايتها إلى نهايتها .

5– مقومات الرواية البوليفونية:

تقوم الرواية البوليفونية على جملة من المقومات الرئيسة، يمكن تلخيصها في العناصر التالية:

أ– التعدد في المواقف الإيديولوجية :

تعتبر الرواية البوليفونية رواية تسعى إلى إبراز عدة إيديولوجيات، حيث قال حميد الحمداني في هذا الشأن:" إن الإيديولوجيات تدخل الرواية باعتبارها مكونا جماليا لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص، وهذا ما نقصده بالمستوى

[1]– ينظر: عبدلي فروجة:" الكتابة البوليفونية في الرواية النسائية المغاربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي–وزو، 2022، ص36.

الأول لوجود الإيديولوجيات في الرواية" [1]،فهو يقصد أن الإيديولوجية موجودة في الرواية لتفسير الواقع وهذا بمستوى لساني فالإيديولوجية عند باختين أهم عنصر في الرواية حيث عرفها" كونها مجموع من ا لانعكاسات والانكسارات داخل المخ البشري للواقع الا جتماعي والطبيعي الذي يعبر عنه ويثبته بواسطة الكلمة والرسم والخط أو بشكل سيميائي آخر ومن يقول الإيديولوجية فإن ذلك يعني داخل إشارة أو كلمة أو علاقة أو خط بياني أو رمز..." [2] بمعنى أن الإيديولوجية هي تعبير عن فلسفة وقيم الإنسان التي تنبع من خلفيته الثقافية والاجتماعية وتعكس رؤيته للعالم من حوله من خلال تجسيدها بأشكال متنوعة، إن الإيديولوجية مرتبطة بصراع الشخصيات المتناقضة داخل الرواية حيث تتمتع كل منها بحرية التعبير عن أفكارها وآرائها وطرح إيديولوجياتها و إظهار صورتها وذاتها وفرض وجودها وتعيش بدورها مع باقي الإيديولوجيات الأخرى، وعلى الكاتب إبرازها دون التفضيل بينها وأفضل نموذج للإيديولوجية داخل الرواية روايات دوستويفسكي حيث يرى باختين بأنه "من الناحية الإيديولوجية يتمتع البطل باستقلالية ونفوذه المعنوي وينظر إليه بوصفه خالقا لمفهوم إيديولوجي خاص وكامل القيمة، لا بوصفه موضوعا لرؤيا دوستويفسكي الفنية المتكاملة"[3]بمعنى أن كل شخصية لها وجهة نظر فكرية، فهو لا يعتقد أن تعدد الشخصيات هو ما يجعل الرواية البوليفونية، بل يؤكد على أهمية تعدد الإيديولوجيات وأنماط الوعي وذلك لأن لكل شخصية إيديولوجيتها وأفكارها ووعيها.

وضح حميد الحمداني توجه باختين واصطلاح على النمط الحواري" إيديولوجيا في الرواية وذلك لأن هدفها إبراز الإيديولوجيات العديدة قائلا:" إن الإيديولوجيات في الرواية باعتبارها مكونا جماليا لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه

[1]– حميد الحمداني:" النقد الروائي والإيديولوجيا من سيسيولوجيا النص الروائي"، المركز الثقافي العربي، لبنان ،ط1، 1990، ص36

[2]– ميخائييل باختين:" الخطاب الروائي"، ص22.

[3]– ميخائييل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص59.

الخاص وهذا ما نقصد بالمستوى الأول لوجود الإيديولوجية في الرواية" [1]، اي أن الإيديولوجية موجودة في الرواية لشرح الواقع بطريقة لغوية، فالإيديولوجية في الرواية مرتبطة بصراع الأبطال أما الرواية كإيديولوجية تتخذ الإيديولوجيات المتصارعة كذريعة للتعبير عن صورة الكاتب[2].

يمكن القول بشكل عام إن التعدد الإيديولوجي هو العنصر الأساسي في بناء قاعدة الرواية البوليفونية فهي تتضمن مجموعة المواقف الإيديولوجية والآراء الفكرية المتعارضة والمتناقضة، ويتم ذلك بين الشخصيات حيث لكل شخصية الحرية في وعيها وعرض تطوراتها دون أن يكون واضحا اي منها يحقق الغلبة في نهاية الرواية.

ب- التعددية في أنماط الوعي:

تتجلى تعددية الوعي في الرواية البوليفونية من خلال تعدد الشخصيات سواء كان هذا الوعي إيجابيا أو سلبيا" ويدل على منطقة الانتباه الذهني التي تبدأ من منطقة ما قبل الوعي وتمر بمستويات الذهن وتصعد حتى تصل إلى أعلى مستوى في الذهن فتشمله في الذهن وهو مستوى التفكير الذهني والاتصال بالآخرين" [3]، أي يمكن للشخصية أن تلتقي بوعي آخر من خلال مستوى التفكير الذهني، مما يؤدي إلى نشوء صراع إيديولوجي.

إن الكاتب يتولى صنع وعي الشخصيات وتفصيلها ويكون هو المسؤول عن تحكمها، فيظل المؤلف محايدا ولا يتدخل في الصراع الذي يحدث بين الشخصيات ولا يميل لأي شخصية بالتحديد"فهو لا يختار من بين هذه الإيديولوجيات ما يلائمه ولكنه موجود فقط ليمتحن جميع هذه الإيديولوجيات وسيشاركها ويعرف كل حدودها" [4]، أي أن المؤلف يخفي

---

[1]- حميد الحمداني:" النقد الروائي والإيديولوجية"، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص36.

[3]- روبرت همفري:" تيار الوعي في الرواية الحديثة"، تر" محمد الربيعي، دار غريب، مصر، دت، ص23.

[4]- حميد الحمداني:" النقد الروائي والإيديولوجيا"، ص36.

إيديولوجيته بهدف عدم ظهور صوته، حيث يكون وجوده مقتصرا فقط على توجيه هذه الإيديولوجيات.

يقول باختين :" إن كثرة الأصوات وأشكال الوعي المستقلة وغير الممتزجة ببعضها البعض، وتعددية الأصوات الأصلية للشخصيات الكاملة القيمة، كل ذلك يعتبر بحق الخاصية الأساسية لروايات دوستويفسكي ليس كثرة الشخصيات والمصائر داخل العالم الموضوعي الواحد، وفي ضوء وعي موحد عند المؤلف هو ما يجري الجمع بينه هنا بالضبط وفي الوقت نفسه تحافظ فيه على عدم اندماجهامع بعضها من خلال حادثة ما بالفعل "[1] بمعنى أن الرواية البوليفونية تتمتع كل شخصية فيها بحرية كاملة في التعبير عن وجهة نظرها الخاصة وتوضيح معانيها المحددة بغض النظر عن اختلاف آراء الآخرين، وبالإضافة إلى ذلك لها الحق في الدفاع بكل حرية لإثبات صحة أفكارها وإيديولوجيتها سواء كانت متفقة أم مخالفة لرأي الكاتب، وهذا ما يجعل الرواية البوليفونية رواية أطرحة ذات طابع ديموقراطي حيث تقوم على التنوع الذهني والتعددية الإيديولوجية.

وينقسم الوعي إلى نوعين حسب باختين:

1- الوعي الممكن: هو كل مايمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة دون أن تفقد طابعها الطبقي وبذلك يتضح لنا أن الوعي الممكن هو الوعي الذي يتحقق فيه طموحات الأفراد علما أن يرتبط بالوعي الممكن الذي هو المحرك الفعلي لفكر الجماعة، بل وهو يرسم مستقبلها ولهذا منحت أهمية للوعي نظرا لأهميته[2].

2-الوعي القائم(الفعلي): وهو الوعي الذي أنتجه الماضي، حيث يحاول أفراد مجموعة معينة في محاولة هم واقعهم انطلاقا من الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لذلك المجتمع[3].

---

[1]- ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص10، ص11.

[2]- عبدلي فروجة:" الكتابة البوليفونية في الرواية النسائية المغاربية"، ص36.

[3]- المرجع السابق، ص37.

بفضل تعدد الشخصيات في الرواية البوليفونية يتنوع الوعي بشكل كبير فنجد شخصيات تملك وعيا ممكنا أو أشكال وعي نسبية يستند إلى تغيير الواقع واستبداله بواقع أفضل، وهذا يؤكد تنوع أنواع الوعي في الرواية البوليفونية بالمقارنة مع الرواية المونولوجية التي يسيطر عليها وعي الكاتب أو وعي الشخصية البطلة التي تدافع عن وجهة نظر الكاتب(الراوي).

وتجدر الإشارة إلى أن باختين نفسه"وهو يتحدث عن دوستويفسكي كخالق ومبدع الرواية المتعددة الأصوات، قد أشار إلى اختفاء المؤلف الذي أتاح لأصواته الظهور ولهذا كان البطل في رواياته يتمثل خاصة في الوعي المبثوث فيها، وعي البطل بالعالم ووعيه بذاته"[1]، وبهذه الطريقة كشف دوستويفسكي الكاتب الروسي القناع عن كذبة الوعي التي يمكن أن تكون متجسدة ومحمولة من قبل فرد واحد.

يتفق المؤلف والشخصية في وجهة نظرهما حول اللغة وطابعها المميز حيث يؤكد غولدمان في كتابه" البنى الذهنية والإبداع ا لثقافي أننا نبين بالكلام كل الدلالات الإجتماعية الخاصة التي تعبر عن مصالح اجتماعية "[2]، الأمر الذي قال به باختين في حديثه عن اللغة وكيف أن كل كلمة تفوح منها رائحة مهنة أو جنس أدبي ما أو حزب ما أو شخص محدد أو جيل[3].

ج-تعدد الشخصيات:(الأصوات) :تتضمن الرواية المتعددة الأصوات مجموعة من الشخصيات أو الأصوات التي تتصارع فيما بينها فكريا وإيديولوجيا حيث تظهر مستقلة عن الكاتب ولها كامل الحرية في التعبير عن أفكارها ، فهي تحظى بأهمية كبيرة في البناء السردي كونها من أهم ركائزه وتختلف أدوارها بين الرئيسية منها والثانوية، فهي دائمة النمو

[1]- نبيلة زويش:" الشخصية بين النظرية والتطبيق(اللاز والعشق والموت في الزمن الحراشي للطاهر وطار أنموذجا، ص122، نقلا عن ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص53

[2]- ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص70

[3]- نبيلة زويش:" الشخصية بين النظرية والتطبيق"، ص122.

والتطور في الأحداث من خلال تفاعلها وصراعها مع غيرها، حيث يقول لطيف زيتوني في معجمه"الشخصية هي كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزء من الوصف" [1]، فالشخصية هي الأساس الذي يقوم عليه الحدث.

إن الشخصيات تملك ما يسمى بنمط الوعي الذي يختلف عن إيديولوجية الكاتب حيث لها حق الموافقة، ولها حق التعارض فيما بينها يقول باحتين"أي كلمة يتلفظ بها البطل حول نفسه هو بالذات وحول العالم تكون هي الأخرى كاملة الأهمية تماما مثل كلمة المؤلف الإعتيادية ...إنها لا تخضع للصورة الموضوعية الخاصة بالبطل بوصفها سم ة من سماته"[2]، مما سبق نقول إن شخصيات الرواية البوليفونية تتميز بعدم تقيدها بالصوت الواحد للرواية التقليدية، فهي تتمتع بالاستقلالية عن كاتب الرواية وعن الشخصية البطلة التي تمثل السارد فهي تتمتع بالحرية النسبية.

إن ربط الشخصية بإيديولوجيتها يجعلها موقفا فكريا حيث تعتبر الشخصية الركن الأساسي من المتكلمين، فنلاحظ تركيز ميخائيل باختين على شخصية البطل بشكل خاص في مؤلفه "شعرية دوستويفسكي" فيعتبر البطل ركيزة العمل الروائي حيث يكون المؤثر الرئيسي وجوهر الأحداث ويبين وجود باقي الشخصيات حيث تتمثل أهمية الشخصيات الأخرى في العلاقة التي تربطها بالبطل" فالبطل يهم دوستويفسكي بوصفه وجهة نظر محددة عن العالم وعن نفسه هو بالذات بوصفه موقفا فكريا"[3] في تقديم نقد مادي يساعده في تقديم البعد الفكري بشكل مبسط [4]،ويقول باختين:" لقد تم التوصل إلى الاستقلالية الداخلية المدهشة لأبطال دوستويفسكي، هذه الاستقلالية التي لاحظها اسكولدوف بوسائل فنية محددة

---

[1]– لطيف زيتوني:" معجم مصطلحات نقد الرواية"، ص144

[2]– ميخائيل باختين:"الخطاب الروائي"،تر: محمد برادة، دار الفكر والدراسات والنشر والتوزيع، مصر ،ط1، 1987، ص143.

[3]– ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص68.

[4]– ينظر المرجع السابق، ص69.

ولقد تمثل ذلك بالدرجة الأولى في حريتهم واستقلاليتهم نفسها داخل بنية الرواية تجاه المؤلف أو بكلمة ادق تحديدات المؤلف الاعتيادية والاظهارية والإنجازية" [1]، يعني أن البطل لا يتجاوز خطة المؤلف حيث تتداخل استقلالية البطل وحريته تماما مع مخطط الكاتب، يبدو أن هذ المخطط يقدم من قبل البطل نفسه من أجل الحرية.

ومن جهة أخرى يتحدث ميخائيل باختين عن الشخصية غير المنجزة وهي الشخصية التي تعيس حالة اللاإنجاز واللاإكتمال واللاحزم داخل المسار السردي الروائي ويعني هذا أن الشخصية غير مستقرة، تلك الشخصية التي تعاني داخليا وتعيش فضاء العتبة أو فضاء الأزمات والأفكار والمواقف، من أعدائها الآخرين وبتعبير آخر الشخصية الغير المنجزة هي الشخصية المهووسة والمريضة نفسيا[2].

د- التعدد في الطروحات الفكرية:

تتضمن الرواية البوليفونية تعددا في الطروحات الفكرية على عكس الرواية الكلاسيكية التي تتضمن فكرة واحدة أو موقفا إيديولوجيا واحدا وعادة ما يمثل الكاتب نفسه هذا الموقف لتوضيح أكثر في الرواية البوليفونية نقد الأفكار على لسان الشخصيات حيث تعرض كل شخصية فكرتها وأطروحتها ويمكن للكاتب أن يشارك بفكرته إلى جانب الأفكار الأخرى للشخصيات دون أن يرجع كفه أطروحاته على باقي الأطروحات الأخرى" [3]، ومن هنا فمصير الشخصيات يتحدد بواسطة الفكرة ثم يحدد مصير البطل.

يشترط دوستويفسكي في تكوين الفكرة أن تتجاور مع أفكار أخرى لتولد أفكارا جديدة ذلك أن "الفكرة الإنسانية تصبح فكرة حقيقية وذلك فقط عندما تقيم اتصالا حيا مع فكرة أخرى

---

[1]- المرجع نفسه، ص19، ص20.

[2]- ينظر جميل الحمداوي: أنواع المقاربات البوليفونية في تحليل الخطاب والملفوظات والنصوص، متاح على الشبكة العنكبوتية :www.aukah.net

[3] - جميل الحمداوي: "مستجدات النقد الروائي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، لبنان، دت، ص135.

غيرية تتجسد في صوت غيري معبر عنه بالكلمة" [1]، أي أنه عندما تترابط الأفكار مع بعضها البعض أو أصوات عديدة تصبح حقيقية لذا يجب أن نتواصل مع وعي آخر ونعبر عن ذلك بالكلمة.

ويقول باختين إن "الفكرة كمبدأ تندمج مع الشكل حيث تتحد جميع النبرات التشكيلية والمبادئ الإيديولوجية التي تشكل الوحدة الشكلية للأسلوب الفني والنغمة الفريدة للعمل الأدبي، تحمل الطبقات العميقة لهذه الإيديولوجية التي تتحكم في صياغة الشكل طابعا تقليديا وتتراكم وتتطور عبر العصور إلى هذه الطبقا ت العميقة المتعلقة بالشكل وهذا يؤدي حتى إلى التوجه الفني الأحادي الذي نجد أنفسنا متعلقين به

هـ- التعدد في وجهات النظر وتصادمها:

لقد عرف مصطلح وجهة النظر تسميات مختلفة منذ استخدامه لأول مرة مثل "التبئير"، "الرؤية"، "التحفيز"،" بؤرة السرد"، "حصر المجال"، "المنظور"، ومن بين هذه التسميات يعتبر مصطلح "وجهة النظر" الأكثر شيوعا خاصة في الكتابات الأنجلو أمريكية وقد جاء المصطلح كرد فعل لنداءات "هنري جيمس" وأتباعه لإزالة صوت المؤلف العارف بكل شيء، لقد تعددت الدراسات حول هذا المفهوم وتضاربت الآراء في التعامل معه فهو مرتبط بأحد مكونات الخطاب السردي وهو الراوي "فوجهة النظر التي استخدمها هنري جيمس وبيرسي لوبوك تؤدي دلالة أخرى ترتبط بعلاقة السارد بالقصة" [2]،كل هذا أدى إلى ظهور مصطلح "الرؤية السردية" في الدراسات النقدية، وقد مر هذا المصطلح بمراحل مختلفة أدت إلى تطوره وتأكيده كجزء أساسي من الخطاب السردي انطلاقا من:

1- وجهة النظر عند هنري جيمس: لقد استخدم النقاد الأمريكيون مصطلح "الرؤية السردية" وأول من بدأ به هو الروائي "هنري جيمس" وتبناه العديد من الكتاب وخاصة "بيرسي لوبوك"

[1]- ميخائيل باختين:" شعرية دوستويفسكي"، ص124.

[2]- بيرسي لوبوك:" صنعة الراوية"، تر: عبد الستار جواد، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، 2010، ص247.

في كتابه "صنعة الرواية"، إن انطلاقة جيمس كانت بكتابة ملاحظاته حول الراوي حيث ينتقد دوره كمحرك للأحداث فهو يعرض الأحداث بدل سردها وأما لوبوك فقد قام بتقدير أهمية العنصر(الرؤية السردية) فهو يسعى إلى اخفاء صورة العارف والمتحكم في كل شيء وحسب بيرسي لوبوك في كتابه "صنعة الرواية فإن هنري جيمس نشر هذه الرواية عام 1903 وهي إحدى الروايات التي يصور فيها المؤلف ردة فعل الأمر يكيين اتجاه البنية الأ وروبية "ويرى بعض النقاد أنها الرواية الأولى الحديثة وذلك باستخدامها القصص المشهدي والمونتاج، كما هو الحال في السينما بوجهة النظر" [1]، وبالتالي فإن هنري جيمس أول من ابتعد عن هيمنة الراوي التقليدي وسيطرته على الأحداث وإدارتها، ولذلك يمكننا الآن التحول من الهيمنة إلى التعددية، الراوي لم يعد الشخص الوحيد الذي يسيطر على سير القصة بل الشخصيات الأخرى الآن لديها القدرة على المشاركة والتصادم مع رؤية الراوي.

2- الرؤية عند تودوروف: لقد اعتبر تودوروف "وجهة النظر" التي قدمها هنري جيمس وسيلة من وسائل السرد، حيث نظر في جوانب السرد بالمعنى الأصلي الذي يشير إليه وفهم القصة من خلال الراوي في علاقته بالرؤية أو وجهة النظر، وهي الطريقة التي يتم من خلالها فهم القصة من قبل المتلقي"فقراءة أي عمل حكائي لا تجعلنا مباشرة أمام إدراك أحداثه وقصته إلا من خلال الراوي، فجهات الحكي إذن تعكس العلاقة بين الهو في القصة والأنا في الخطاب، أو بتعبير آخرا لعلاقة بين الشخصية والراوي" [2]، وقد حافظ على تصنيف بويون وأدخل عليه بعض التغييرات الطفيفة وهي:

- الراوي أكبر الشخصية: وفيه يكون الراوي أعلم من الشخصية.
- الراوي يساوي الشخصية: وفيها يعرف الراوي ما تعرفه الشخصية:

[1]- المرجع نفسه، ص247.

[2]- سعيد يقطين :" تحليل الخطاب الروائي"، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1987، ص293.

– الراوي أصغر الشخصية: هنا معرفة تتضاءل الراوي وهو يقدم الشخصية كما يراها ويسمعها دون الوصول إلى عمقها الداخلي"[1].

3– التبئير عند جيرار جونيت : كان معارضا وناقدا لمصطلح "وجهة النظر" ما جعله يقترح مصطلحا بديلا وهو "التبئير"، ويقول :" وتحاشيا لما لمصطلحات "رؤية"، " وجهة النظر" من مضمون بصري مفرط الخصوصية فإنني سأتبنى مصطلح "التبئير" الأكثر تجريدا بعض الكثرة والذي يتجاوب من جهة أخرى مع تعبير بروكس وارين" [2]،أي أنه بالنسبة له إن مصطلح وجهة النظر غير دقيق، وبناء على ذلك قسم التبئير إلى:

– التبئير الصفري: (اللا تبئير): ويتوافر في البناء التقليدي.

– التبئيير الداخلي: ثابت كان أو متحرك.

– التبئير الخارجي: لا نتعرف فيه على دواخل الشخصية.[3].

إن جونيت استبعد كل من مصطلح "وجهة النظر" ومصطلح "الرؤية" وذلك لأسباب ضعيفة ليفسح المجال للمصطلح الذي أوجده وهو التبئير رغم الانتقادات المتنوعة، فهو يستعمل مصطلح التبئير من تعبير "بروكس وواين""بؤرة السرد" [4]، وهذا يعني تقليص مجال الرؤية مما يجعله أكثر تجريدا ويتجاوز أي غموض فلكي نتجنب المضمون البصري الخاص جدا (مصطلحات الرؤية) حقل وجهة النظر فإني سألجأ إلى مصطلح التبئير الأكثر تجريدا قليلا"[5]، وبالتالي نلاحظ تعدد المصطلحات مثل الرؤية، حصر المجال،وجهة النظر المنظور لمفهوم واحد، وكل واحد من هؤلاء النقاد يدافع عن رأيه وموقفه.

---

[1]– سيزا قاسم:" بناء الرواية"، مكتبة الأسرة، مصر، ط1، 2004، ص44.

[2] – المرجع نفسه، ص294.

[3]– سعيد يقطين:" الخطاب الروائي"، ص294.

[4]– عمر عيلان:" في مناهج تحليل الخطاب السردي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الدراسات(2)،2008، ص145.

[5]– المرجع نفسه ،ص145.

الفصل الثانـي:

تجليات البوليفونية في رواية القلاع المتآكلة

-الأصوات كشخصيات حاضرة في الرواية .

أ- صوت الراوي / المحامي المثقف .

ب- صوت رشيد/ الصوت الملحد .

ج- صوت نبيل / الصوت المتطرف .

د- صوت ياسين / الصوت الديني .

هـ- صوت نصيرة / الصوت المتحرر .

تستند الراوية البوليفونية على تعدد الأصوات والشخصيات واللغات والأساليب والمواقف ووجهات النظر السردية تعتبر النوعية من الروايات ديمقراطية إذ تمنح للقراء الفرصة للتعبير عن آرائهم بحرية بدون تردد، حيث يمكنهم قبول أو رفض المواقف والإيديولوجيات تتناسب مع قناعاتهم بغض النظر عن موقف الراوي في الرواية" ففي الرواية البوليفونية يختفي صوت الراوي ليمنح الشخصيات حرية التعبير والتلقائية مستندا إلى خلفياتها الاجتماعية وهذا يسهم في خلق نوع من الجودة التي تعوز الديمقراطية "[1]، حيث تمنح الشخصيات استقلالية دون أن ينحاز الروائي لأي منها، فالرواية البوليفونية تعكس صورة الإنسان وتجسد نوعية حياته حيث تعبر بصدق عن تعقيدات المعاناة البشرية وتتضمن هذه الرواية مجموعة من الشروط منها أن تكون مبينة على صراع بين شخصياتها من بداية الرواية إلى نهايتها حيث لا يتمكن القارئ من الوصول إلى حل نهائي لهذا الصراع، كما يجب أن تكون النهاية مفتوحة مما يتيح للقارئ اختيار الموقف الذي يتناسب مع شخصيته، بالإضافة إلى تقديم نهاية تناسبه" [2]، فإن شخصيات الرواية البوليفونية تتميز بأنماط من الوعي المختلف عن وعي الكاتب وإيديولوجيته الشخصية مما يمنحه درجة من الاستقلالية فهي شخصيات حرة ومستقلة عن شخصية الراوي أو المؤلف، وقد كان ميخائيل باختين هو الرائد في تناول هذا الموضوع في كتابه شعرية دوستويفسكي، حيث قام بتحليل رواية "الجريمة والعقاب" ومن ثمة سنعمل على الكشاف التجليات البوليفونية في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري، وذلك من خلال تحليل التعددية الصوتية كأحد عناصر الرواية.

[1]–ينظر:أكيدر عبد الرحمان:" الرواية البوليفونية المقومات الفطرية والخصائص الفنية، أفكار ودراسات متاحة على الشبكة العنكبوتية، نقلا عن ساري محمد، الادب والمجتمع، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،

[2]– ينظر: عبدلي فروجة:" الكتابة البوليفونية في الرواية النسائية المغاربية"، ص57.

- الأصوات كشخصيات حاضرة في الرواية:

أ- صوت الراوي / المحامي المثقف:

الراوي هو الشخصية المهيمنة على باقي الشخصيات في الرواية فهو يروي الرواية ويعد مرادفا للسارد وقد وضح هذه الفكرة مجموعة من النقاد العرب ومنهم: سعيد يقطين، عبد الله ابراهيم، محمد عزام، حميد الحمداني...فقد عرفه عبد الله ابراهيم "بأنه ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أم متخيلة ولا يشترط أن يكون الراوي إسما معينا، فقد يكتفي بأن يقتنع بصوت أو يستعين بضمير ما يصوغ بوساطة المروي" [1]، كما يصفه أيضا بأنه الصوت غير المسموع الذي يقوم بتفضيل مادة الرواية" [2]، وهناك طرح باختين فكرة غياب صوت الراوي في الرواية البوليفونية فاسحا المجال لتعبر كل شخصية بتلقائية عن نفسها وفق انتمائها الاجتماعي فهناك من كان حضوره مكشوفا وعلنيا وهناك من كان حضوره مخفيا،فالراوي هو المهيمن والمسيطر على الأحداث داخل الرواية، ويكون التعرف عليه صعبا، فهو على نماذج عدة يتلوى كالحرباء، فحينا يتلبس بصورة المؤلف ومرات عديدة لا يتعين إلا في شتى الأقنعة [3] وبهذا يعتبر العنصر الأساسي والشخصية الرئيسية في أي عمل قصصي بغض النظر عن نوعه أو لغته حيث لا يمكن الاستغناء عنه أو تجاهله، فهو "الوسيط الذي يختاره الكاتب ليكون ممثلا أو بديلا عنه في سرد الأحداث من البداية إلى النهاية"[4]، وبالعودة إلى أحداث رواية "القلاع المتآكلة" فإنها استهلت بصوت الراوي عندما كان يسرد ما حدث له في الساعة المتأخرة من الليل عندما كان مستلقيا على السرير ويفكر في موعد جلسة المحكمة الذي وصل ليقطعها رنين الهاتف "حينما هزتني رنة الهاتف كلسعة كهربائية مباغتة ماذ ا يريد مني هذا المزعج في هذه الساعة المتأخرة من

[1]- عبد الله ابراهيم:" السردية العربية"، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1992، ط1، ص19

[2]- عبد الله ابراهيم:" المتخيل السردي"، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990، ط1، ص117

[3]- سامية داودي:" صوت المرأة في روايات ابراهيم سعدي"، ص108

[4]- ينظر: طه عبد الرحمان:" الرواية السياسية"، دار النشر للجامعات، ط1، 1996، ص145.

الليل؟أيكون مدير الجريدة يريد التأكد من عدم تأجيل تاريخ المحكمة؟ أم والدة السجين؟" [1]، وتتتابع الأحداث لنكتشف أن الاتصال كان من صديقه رشيد بن غوسة صديق من أيام التكوين في مدرسة المعلمين ليخبره بوفاة ابنه "ابني ...ابني...ابني...يا خويا عبد القادر...أتسمعني...أتفهم كلامي...ابني أقول لك ...هل تسمعني؟ عثرنا عليه ملطخا بالدماء.."[2]، بعدها ينقلنا الراوي إلى متوسطة ابن باديس موقع جريمة قتل ابن صديقه، أين عرّفنا على عائلة رشيد وزوجته نصيرة، أين كانا في أسوء حالتهما "كان رشيد جالسا على الأرض مسندا ظهره للجدار يمسك رأسه بيديه وزوجته نصيرة تبكي بصمت وهي جائعة غير بعيدة عنه بقرب سقيفة المطبخ" [3]، كما أن هناك شرطيان بقرب الجثة الممد دة على الأرض وبيده مسدس، لا يسمحان باقتراب أحد من الحاضرين منها، فيصف بعدها جثة نبيل الذي كان مختلفا عما رآه قبل خمس سنوات" هذا الذي أمامي لا يختلف عن الصورة العامة لمناضلي للحركات الاسلامية المتطرفة لحيته تغطي معظم وجهه، حليق الرأس وقميص طويل من النوع الأفغاني وفوقه سترة من الجلد الأسود وفي القدمين حذاء رياضي أسود اللون أيضا"[4]، مما أدى إلى التسا ؤل عن كيفية موت نبيل أيكون قد انتحر أم أنه قتل؟ما جعلهم يستعينون بفرقة تشريح الجثث لمعرفة الحقيقة.

تتواصل أحداث الرواية أينما أعاد رشيد بن غوسة كيفية حدوث الجريمة للمحافظ وكان حائرا حول مقتل ابنه،وواسى المحامي صديقه رشيد قائلا :" لا تحزن يا رشيد لست الأول ولا الأخير الذي فقد ابنه، أنت أدرى مني أن هذه الحرب القذرة ستحرق قلوب الجميع مهما يكن فإن م أساتك أهون من م أساة الكثيرين في هذا البلد الملعون قبل حتى أن تلتئم جراح حرب الاستقلال" [5]، من خلال هذا المقطع نكتشف التباين في وجهات النظر وجهة

[1]– محمد ساري:" القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ، الجزائر، دط، 2013، ص07.

[2]– المصدر نفسه، ص08.

[3]– نفسه، ص09

[4]– نفسه، ص10

[5]– نفسه، ص15

نظر المحامي الذي حاول التخفيف عن صديقه ومواساته معتبرا مص يبته هينة أمام مصائب الآخرين ولا سيما أن الوطن لم يشف من جرحه ووجهة نظر رشيد الذي اعتبر فقدان ابنه مصيبة لا يمكن أن يتحملها أي والد، " سكت رشيد بن غوس ة وخفض رأسه، أنهكه الألم والندم والضغينة، أحسست بأن صوته بدأ يرتجف، ربما كان على وشك الإجهاش بالبكاء الصدمة مباغتة موجعة لا يتحملها إلا الصناديد من الرجال أو المؤمنين المستلمون كلية للقضاء والقدر، بلا مناقشة ولا حتى جرأة التساؤل" [1]، فكانت صدمة رشيد بوفاة ابنه السبب الذي جعله يحقد أكثر على الجماعة الإسلامية المتصنعة الدين.

ينتقل الراوي في موضع لاحق من الحكاية إلى وصف مدينته"عين الكرمة" التي تغيرت ولم تعد كما كانت حيث قال:" عين الكرمة لم تعد تلك الواحة الوارقة للظلال الدافئة الحضن التي أنست العيش بين أساورها الآمنة...تغير كل شيء كبرت المدينة واغتنت ولكنها فقدت براءتها وطيبتها"[2]، كما أنه تذكر أول يوم له منذ عامين عندما عين مدرسا في متوسطة ابن باديس فقد كان متحمسا" أحسست يومها بصدري ينتفخ ابتهاجا وأنا أمشي الهوينا أستنشق روائح أزهار مزارع البرتقال المحيطة وحواشي كلها منتشية مزهوة بالعالم الجديد الذي أدخله غازيا غانما" [3]، لكن سرعان ما تذكر السنوات التي عاش فيها البؤس والوجع وقد عبر عن تلك الأيام بالاستياء حيث قال:" آه على تلك الأيام..." [4]، فقد تغير هو كذلك حيث استبدل مهنة التعليم بعدما تعرض للإهانة من طرف تلميذة .

كما تابع وصف مدينته التي طرأت عليها تغيرات كثيرة "المدينة بدورها عرفت تطورات هائلة، لم تعد قرية صغيرة مثلما وجدتها أول الأمر، بل صارت مدينة بمجسمات بسطت سيطرتها على الحدائق الجميلة التي اختفت تدريجيا لم يبق شيء من تلك الجنة

[1]- المصدر السابق، ص15

[2]- نفسه، ص18.

[3]- نفسه، ص18.

[4]- نفسه، ص18.

الفيحاء، لقد أكلها الخرسان وما تبقى ابتلعته أكواخ الصفيح "[1]، هذا يعني أنه لم يفضل تحول القرية إلى مدينة كبيرة فهو مشمئز من الوضع الذي آلت إليه مدينة عين الكرمة التي نشأ في أحضانها الدافئة" هذه هي عين الكرمة اليوم...تصدعت . تورمت، تشوهت من جراء الزحف الريفي الفوضوي، وفوق كل هذا هاهو الإرهاب يغرقها في أوحال جهنم برصيد اختراعاته البشعة في زهق الأرواح وتشويه الجثث التي فاقت إنجازات إبليس التاريخية"[2]يصف في موضع آخر جرائم الإرهاب فيقول:" لقد تعفن الوضع في المدينة حقا أشخاص يختفون فجأة، جثث مشوهة،أحيانا بلا رؤوس آدمية بداخل أكياس مرمية في الطرقات وسط أحياء آهلة بالسكان مذبوحة أو مدوزة بالرصاص "[3]، فالإرهاب يظهر أنيابه ليزهق أرواح الأبرياء، ثم يعود الراوي ليصف بشاعة أفعاله، وما تركه من جثث بلا هوية وأجزاء بشرية مرمية في الأكياس على الطرقات، إنها جرائم يرتكبها أشخاص متعطشون للدماء يزرعون الرعب في قلوب الناس بدافع الانتقام وفي نهاية الرواية يتساءل الراوي عن مصير عين الكرمة "أين عين الكرمة تلك الهادئة الآمنة المضيافة؟ هل ستعود يوما ومتى تعود؟"[4] ونتعرف على الحوار الذي دار بين بوعلام سعدون مع عبد القادر بن صدوق حول الحدث السياسي في المقهى المقابل للمحكمة"– م ا رأيك في موقف اليامين زروال؟ أليس شهما يذكرنا ببومدين؟

– كعادتك دائما تستصغر عظائم الأمور، لا تقل هذه المرة أنك لم تعجب بموقف رئيس الدولة الرائع؟

[1]–المصدر السابق، ص23.

[2]–المصدر نفسه، ص24.

[3]– المصدر نفسه، ص237

[4]– المصدر نفسه، ص238

نلاحظ أن هناك مواقف مختلفة و بالأصح متصارعة منها ما يوافق ما ذهب إليه الرئيس ومنها الموقف الآخر المعارض أو هو الأمر الذي نستنتجه من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيتين.

– "ماذا فعل؟ألم تسمع الخبر أم أنك تتغابى علينا؟" [1]، فمن خلال هذه المقاطع يتبين لنا الحديث الذي دار بين بوعلام وعبد القادر حول موقف "اليامين زوال" الذي رفض مقابلة جاك شيراك سرا لأنه يتنافى مع الأعراف الديبلوماسية.

فالملاحظ أن المتكلم قد قام بعملية رد وإجابة حول موقف الرئيس اليامين زروال فعندما يقول:" ما رأيك في موقف اليامين زروال ؟ أليس شهما يذكرنا ببومدين؟ ، يحتاج إلى إجابة . والحوار هنا جاء على لسان الراوي "فالقصة على لسان المتكلم الذي تنعكس فيه الكلمة الغيرية ،حيث تمتاز بإحساسها القوي بوجود الآخر وكأنه أمامنا فالمرسل حين يحرر الرسالة ينشغل فكره بمواقف المرسل إليه و استفساراته وأجوبته و بالتالي فكلمته تحتوي الفعل و رد الفعل في الوقت نفسه ،وهذا ما يؤدي إلى خطاب متعدد الأصوات" [2]وبالتالي فإننا نستنتج من هذه الحوار صوتين صوت "عبد القادر" وصوت صديقه "بوعلام

فالراوي أبدى رأيه في المواقف السياسية إبان العشرية السوداء:" إن جاك شيراك رئيس دولة ديمقراطية قائمة على مبدأ الاقتراع العام ورئيسنا جنرال معين من الجماعة التي قامت بانقلاب عسكري وأوقفت المسار الانتخابي فكيف تريد لشيراك أن يلتقي بزروال كما لو أن الرجلين ينتميان إلى نظامين سياس يين متشابهين" [3]، فالراوي يقوم بمقارنة بين الرئيسين جاك شيراك واليامين زروال معبرا عن وجهة نظره بشأن الفروق بين مبادئ كل منهما والتباس بين الديمقراطية والانقلابات العسكرية.

---

[1]– المصدر السابق، ص25، ص26.

2_نورة بعيو " آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية مدن الملح وثلاثية أرض السواد"لعبد الرحمان منيف،دار الأمل ،الجزائر ط1، 2014،دت،ص224.

[3]–المصدر نفسه، ص28.

تركالراوي المجال للشخصيات الأخرى للتعبير بكل حرية وتبدي رأيها أما هو فاكتفى بسماعها رغم تدخله في الحوار لكنه مجبر على تقمص دور السامع الجاهل بما حدث.

بعدها ينقل لنا الراوي مشهد الكمين الذي نصبه الإرهابي ون عند المدخل الجنوبي للمدينة، فقد هجموا على شاحنة الشرطة التي تحمل المساجين للمحاكمة، وقد نتج عنها الكثير من التساؤلات فلا أحد يعرف التفاصيل الدقيقة فهي حادثة ملتبسة"هناك وجدت الخبر اليقين إنه فعلا كمين نصبه الإرهابيون عند مدخل الجنوبي للمدينة...الجسر ضيق لا يسمح إلا بمرور سيارتين خفيفتين، لذلك تضطر الشاحنات والحافلات إلى التوقف نهائيا قبل العبور فوق الجسر، إنه المكان المناسب لنصب كمين مسلح وإمكانية الانسحاب سهلة بالتسلل فوق الجسر، إنه المكان المناسب لنصب كمين مسلح وإمكانية الانسحاب سهلة"[1].

ثم ينتقل الراوي إلى وصف رشيد في جنازة ابنه نبيل:" كان رشيد بن غوسة صامتا غائبا عما يحيط به، كما لو أنه ابتلع قرصا مخدرا في الصباح أيضا لم ينفعل ولم يحتج، هو العصبي الذي تثيره أدنى مشكلة "[2]، فهذا دليل على حزنه على ابنه، فهو لم يعد يتأثر بما يحدث من حوله كما كان في السابق، حيث كانت أبسط الأشياء تثير غضبه، لقد استسلم لقضاء الله سبحانه وتعالى ثم يضيف لنا الراوي وصف الجو الجنائزي الرهيب ويصف لنا المقبرة ممتلئة بالوحل والبرك المائية التي أحدثتها الأمطار المتساقطة وقد صور لنا فئة من الناس ذوي الأجسام والبنى القوية الذين سارعوا إلى حمل التابوت إلى مأواه الأخير"أوقفنا السيارات على طول الطريق المعبد، أسرعت الخطى كي أساعد في حمل التابوت مثلما فعلت في المستشفى، ولكنني وجدت أمامي شبان أقوياء، بعضهم ملتح وبأقمصة إسلامية يخطفون التابوت ويضعونه فوق أكتافهم ويركضون به إلى المقبرة غير آبهين بالوحل ولا بالبرك المائية المعيقة للسير، مرددين بأصوات خشنة لا إله إلا الله، لا إله إلا الله...بدو لي

[1]– المصدرالسابق ، ص35.

[2]–نفسه ص35.

غرباء"[1]، وبالتالي نكتشف الاختلاف في الرؤى بين الراوي وبين الشبان،الراوي الذي اعتبرهم غرباء لأنهم يرتدون لباس ا غريبا عن المجتمع ويتصرفون تصرفات مخالفة لباقي الوفد الجنائزي والشبان أنفسهم الذين يعتبرون أنفسهم على حق والباقي على ظلالة.

وقد قدمت لنا المادة الحكائية في بعض الأحيان عن طريق ضمير المتكلم ويأتي هذا الضمير في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد ضمير الغائب، فالسرد جاءنا عن طريق استعمال ضمير "هو" ما سمح لنا بتحديد وجهة نظر الراوي، في هذه الحالة يعتبر الراوي "غير مشارك في القصة التي يرويها وهو ما يطلق عليه جنيت السارد الخارج حكائي"[2]، وقد تولى الراوي مهمة نقل وتقديم الأحداث دون أن يتدخل فيها، م ا يعني أنه لا يلغي آراء ومواقف باقي الشخصيات، ف لكل شخصية حاملة لأيديولوجيتها وقد تكون مرجعتيها تعود إلى الانقسام الإيديولوجي الذي عرفه المجتمع الجزائري في العشرية السوداء " و يبدو أن أكثر روايات الأصوات تعتمد في رواياتها على الأصوات بشكل مباشر حتى أننا لا نجد للراوي الذي اختفى أكثر من اختفاء الكاتب نفسه، وهو الأمر الطبيعي في الرواية المتعددة الأصوات"[3]، وبالتالي تراجعت أهمية الراوي في الرواية البوليفونية لكنها لا تزال ليست معدومة، فقد اختار بعض الروائيين تقديم الرواية البوليفونية من خلال استخدام راو غير تقليدي، فهذا الراوي يختلف عن الراوي التقليدي حيث يكون المتحدث الوحيد في السرد الراوي هنا لا يحتكر في سرد الأحداث، بل يشاركه فيه ضمائر وشخصيات أخرى، بما أنه هو الشخصية الرئيسية فإن حضوره يتجلى بشكل واضح حتى عندما تتحدث الشخصيات الأخرى وتكشف عن أحداثها، نجد أن الراوي يشارك في هذه الأحداث مما يجعله حاضرا في كل مجريات الرواية، فلا تمر صفحة واحدة دون أن يظهر فيها، سواء من خلال أفكار الشخصيات أو آرائهم وانتقاداتهم على سبيل المثال نذكر فاجعة وفاة والده وأخته وأخيه

[1]–المرجع نفسه، ص49.

[2]– محمد بوعزة:" تحليل النص السردي"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص85.

[3]– محمد نجيب التلاوي:" وجهة النظر في رواية الأصوات العربية"، منشورات كتاب العرب، سوريا، 2000، ص 92.

الميلود فيقول:" رد فعل لا إرادي يذكرني في كل مرة بشهور شاقة التي كان فيها أبي طريح الفراش يكاد صدره ينفجر من كثرة السعال ونحن أمي وأخي الكبير وأختي الصغيرة الله يرحمهم جميعا نتفرج عاجزين ينهشنا الرعب ويرعد أحشاءنا الخاوية، كم كانت قاسية تلك الليالي الشتوية الباردة، ذات ليلة أيقضني صراخ أمي...دفنا أبي تحت رذاذ المطر، وقفت تحت المطر أتابع مراسيم الجنازة بعيون سارحة"[1]، وفي مقطع آخر يقول :" هي أيضا كانت تصرخ باستمرار ولا تتركنا ننام، وكنت أتمنى لها الموت في قرارة نفسي، وكم بكيت يوم وجدناها أمي وأنا ملقاة على الأرض بلا حراك...تملكني إحساس بالذنب لشهور عديدة كما لو أني كنت قاتلها، إلى اليوم لا يزال هذا الإحساس يؤرقني كلما استحضرت ذاكرتي تلك الأيام القاسية"[2]، فالملاحظ من خلال هذا المقطع هو وجهات نظر الراوي الذي كان يتمنى الموت لأخته لا لسبب سوى أنها كانت تزعجه بصوت آرامها من المرض ولا تتركه ينام ومنظوره لنفسه وندمه بعدما تحقق مبتغاه وتوفيت الأخت حيث عاش صراع ا داخلي كلما استحضر تلك اللحظات.

كما تذكر أيام تربصه لمدة سنة كاملة عند المحامي سي ناصر قبل بداية ممارسته لمهنة المحاماة، فقد وصف مظهر (سي ناصر) بقوله" كان سي ناصر نحيفا يرتدي بذلة رمادية دون ربطة عنق، وله شنب رقيق أشقر اللون "[3]، من خلال هذا الوصف يبرز الراوي لنا الهيئة التي يتمتع بها المحامون، وكيف يبدو طيب "سي ناصر" الذي يتميز برزانة الشخصية، فقد تعلم منه معنى وظيفة المحامي"يجب أن تعرف أن وظيفة المحامي هي الدفاع عن جميع المتهمين بارتكاب الجريمة، حتى أولئك الذين يعترفون بالأفعال المنسوبة إليهم، ومهما كانت بشاعة هذه الأفعال"[4]، فهذا المحامي يحقق العدالة مهما كان ثمنها وهذا

[1]– محمد ساري:" القلاع المتآكلة، ص39.

[2]– نفسه ص39

[3]–نفسه، ص34

[4]– نفسه، ص66

ما يجعل القارئ يدرك مدى سلطة القانون وعدالته، فالمحامي عبد القادر تعلم المهنة على يد سي ناصر الذي بدوره احتاجه في مساعدته لتعريب الوثائق ولتعلم اللغة العربية.

ينقلنا الراوي من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب، فيقول" في السنوات الأخيرة وبالأخص منذ إحالة رشيد بن غوسة على التقاعد، تعكر مزاجه وأصبح ينفجر غضبا لأتفه الأسباب"[1]، فالراوي هنا يتخذ دور المحلل النفسي لصديقه رشيد ويتحدث عنه بضمير الغائب في وصفه لحالته النفسية، ففي هذه الحالة انحصرت زاوية رؤية الراوي في مشاركته هموم صديقه، بمعنى أنه يساويه في الشعور.

ومن هنا نستخلص أن "الراوي لا يتحكم في المادة الحكائية من البداية الى النهاية فهو سارد وشخصية من شخصيات القصة، فيصبح راو حاضر كشخصية في الحكاية التي يروى أحداثها، ويتلفظ هذا السرد باستعمال ضمير المتكلم" [2]،يبدو أن ذا الراوي يختلف عن الراوي التقليدي الذي يسيطر على مجريات الأحداث، وعملية السرد · فنحن هنا أمام راو حيادي يسرد الأحداث دون ان يتدخل في الأصوات او الشخصيات الروائية·

فهو الذي يتميز بظهور محدود وحيادية مطلقة وحرية في التعبير عن وجهات نظرها فقد اكتفى بدور دفع الأحداث الروائية، تاركا للشخصيات(الاصوات) المجال للتعبير عن ننفسها دون أي تدخل منه · لتنتهي الرواية بنهاية مفتوحة أين تم التساؤل عن عين الكرمة "أين عين الكرمة تلك الهادئة، الآمنة المضيافة؟ هل ستعود يوما ومتى تعود؟" [3] فالراوي يترك للقارئ حرية اختيار النهاية التي تناسبه انطلاقا من منظوره الخاص، وله الحقان يتخذ الموقف الذي يرضيه ويلائمه وبذلك نجد أنفسنا نحن القراء أمام آلية من آليات البوليفونية ألا وهي النهاية المفتوحة.

---

[1]– المصدر السابق ، ص63

[2]–سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل الى نظرية القصة (تحليلا وتطبيقا) دط، الدار التونسية للنشر وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 99.

[3]–محمد ساري، القلاع المتآكلة، ص237

ب-صوت رشيد /الصوت الملحد:

إن رشيد شخصية تتميز بالليبيرالية العلمانية قوية وهو مدير متوسطة ابن باديس التي يقطن فيها، تولدت لديه ردة فعل قوية ضد الدين وذلك نتيجة لتجربته مع والده الذي كان يجبره على تأدية الصلوات الخمس في أوقاتها م ا أدى إلى كرهه للدين فيقول:" أبي هو الذي كرهني في الدين، عشت والصلاة كسخرية يومية أنتظرها كعقاب مقيت "[1]، ما نتج عنه كرهه وبالتالي التمرد غير المبرر، حيث تشكلت لديه أفكار ومواقف سلبية اتجاه الصلاة،إذ أصبح ينظر إليها كعقاب بدلا من أن تكون مصدر راحة فأصبح يهرب منها بدل حبها ويلتزم بها"الدراسة هي التي أنقذتني... من حسن حظي أن قريتنا لم تكن تتوفر على ثانوية فسجلني بالقسم الداخلي بالبليدة مع قسوة النظام الداخلي كنت سعيدا سعادة لا توصف لأني تخلصت من آداء الصلوات الخمس المفروضة علي في البيت العائلي [2]كل هذا نتج عنه الصراع بين رشيد وأبيه عكس ما حدث مع ابنه نبيل الذي اعتنق الدين وأحبه، وكان انضمام رشيد إلى الحياة الجامعية بمثابة بداية جديدة له، حيث تحرر من القيود التي كانت نفرض عليه، فقد توقف عن أداء الصلاة وعاقر الخمر ودخل في علاقة غير شرعية مع زميلته "نصيرة" التي انتهت بالزواج لاحقا.

لم يقدم الراوي توضيحا لسمات أو الخصائص الفيزيولوجية لهذه الشخصية بل قام بعرض أفكاره وميوله ساعيا إلى تجسيد صورة الإنسان المثقف المتحرر، فهو لا يؤمن بوجود الله، فهو متأثر بالغرب كثيرا والذي ينفي وجود الله مما جعله رجلا كافرا وملحدا" مثلما تعرف يا سي عبد القادر أنا ملحد كافر بدين المسلمين لا أصوم ولا أصلي" [3]، فهو بعيد كل البعد عن الدين، حيث حاول مقاومته بأفكاره المتحررة، فلم يعد يهتم بتوطيد علاقته مع الخالق فلم يقم بما هو مفروض عليه من صوم وصلاة وزكاة، فلا يؤمن بوجود الله "لو كان الله حقا

[1]- المصدر السابق، ص63.

[2]- نفسه، ص62.

[3]- نفسه، ص88

موجود لرق قلبه لحالة البشرية ولأنقذ المؤمنين وأغلبهم من المسلمين من الفقر والظلم" [1] فهو ينزعج عندما يرى عائلته تقوم بالعبادات سواء ابنه أم زوجته" ولكني انزعجت كثيرا حينما رأيتها تلبس الحجاب وتستعد للصلاة، فتذكرت طفولتي واستبداد أبي " [2]، حتى أنه ينزعج من لباس ابنه"ما هذا الكرنفال؟... هذا ليس لبس المسلمين إنما لباس الأفغان التقليدي وما أبعدنا عن بلاد الأفغان المسلمون متفرقون عبر كامل الكرة الأرضية، ولكل بلد لباسه التقليدي ولا يوجد لباس يسمى باللباس الإسلامي" [3]، فكان دائما معارضا له و لكل تصرفاته التي ينتج عنه دائما شجارات بينهم ا ،"يتحدث المؤلف بواسطة الآخرين و يوظف كلماتهم ،ويدخل في هذه الكلمة الغيرية يجبرها على خدمة أهداف تتعارض مع تلك التي وضعت من أجلها ومن ثم فإن الشخصية المتكلمة أرادت السخرية من لباس ابنه فقد سماه بالكرنفال وبالتالي هي سخرية . يتضح من خلال الأمثلة السابقة أن الصراع البارز كان أصلا بين الأب ووالده وصار بينه وبين ابنه وهو صراع عقائدي حول الدين ... وتبين المقاطع السالفة الذكر اختلاف الرؤى فبعدما كان التحرر يترك العبادة من صلاة وصيام ،دارت الأيام وأصبح الأصح الإلتزام بالدين والعودة من صلاة وصيام ،دارت الأيام وأصبح الأصح الإلتزام بالدين والعودة لى الله وتعاليمه .

ج- صوت نبيل/ الصوت المتطرف

مثلت هذه الشخصية نقطة التحول الأساسية في مجريات الأحداث، حيث كان لمقتلها تأثيرا واضحا على مسار الحكاية،وقد أثار ذلك لدى القارئ فضولا يدفعه للتساؤل عن مصير نبيل" هل كانت جريمة قتل؟ أم حادثة انتحار. وماهي الأسباب والدوافع وراء ذلك؟وقد كانت هذه الحادثة بداية في تفعيل الأحداث وحركيتها، فنتعرف على الشخصية التي تمتع بها نبيل في صغره، فقد كان طفلا خجولا متفوقا في الدراسة ولا يملك أي صديق سوى أفراد

[1]- المصدر السابق، ص89.

[2]- نفسه، ص88.

[3]- نفسه، ص96.

العائلة"كنت طفلا خجولا لا يكثر الكلام بخلاف أختك الكبرى الثرثارة ...تكبرك بأربع وقد اعتنت بك كثيرا وأنت صغير إلى حد أنها لقنتك عادات أنثوية، فلم تكن تتشاجر أو تتخاصم مع أولاد المدرسة أو الجيران" [1]، فمن خلال هذا المقطع يتضح لنا التباين في الرؤى، رؤية الوالد الذييرى أن نبيل يتمتع بشخصية أنثوية لأنه لا يتشاجر ولا يتخاصم في المدرسة، ورؤية نبيل الذي ينكر ذلك، وبمجرد مغادرته للبيت العائلي اكتسب عادات وتقاليد جديدة، وبذلك بدأت شخصيته في التغيير"إلى غاية تلك الصائفة الملعونة، ماتت أمي المقهورة، ذهبنا لحضور الجنازة هناك في قرية أولا موسى تركتك عند أعمامك لتقضي بقية أيام العطلة هم الذين ألحوا وأنت أيضا ...يا ليتني لم أقبل...كنت مخطئا نسيت تلك العادات البليدة قلت أنها ذهبت مع صاحبها"[2]، فمن خلال هذا المقطع يمكن استنتاج التغيرات التي طرأت على شخصية نبيل وعلى حياة الريف أو القرية التي أصبحت أكثر تدينا مما كانت عليه سابقا، وهذه التغيرات كان لها تأثير كبير على شخصية نبيل الذي لم ير من هذا العالم سوى ما نشأت عليه عائلته فانضم إلى الدين الجديد عكس والده الملحد الذي بات يكرهه ولا يطيعه "أنت كافر ولا يحق لي طاعتك" [3]، فالملاحظ من هذا المقطع الصراع بين الموفقين موقف الأب الذي يعتبر من حقه أن يأمر ابنه ومن واجب هذا الأخير طاعته وتنفيذ الأوامر، وموقف الابن الذي يرى بأن أباه ملحدا لا يستحق ولا تجب طاعته ، وفي مقطع آخر يدعوه فيه إلى الصلاة" إخوتك كلهم يصلون ويصومون...كلنا نجتمع عند كل صلاة في صف واحد ونصلي جماعيا جو عائلي رائع ...لماذا لا تستغفر ربك في صبيحة هذا اليوم الأول من رمضان الكريم فتأخذ حماما وتلتحق بالمسجد لأداء الصلاة مثلما يفعل جميع المسلمون"[4]، فرشيد تصرف مع ابنه مثلما تصرف معه والد هلكن هذه المرة العكس فرشيد

[1]- المصدر السابق، ص93.

[2]-نفسه، ص93.

[3]- نفسه، ص138.

[4]- نفسه، ص95.

يريد إبعاد ابنه عن الدين وعن الصلاة ما جعله يلتحق بالجماعات الاسلامية المتطرفة وهو ما لم يتقبله والده"حاولت أن أفهمه أن الجماعة التي يخالطها لا تحب الخير للبلاد والعباد إنها جماعة ضالة تتستر وراء الدين لخدمة أمريكا الإمبريالية والمماليك النفطية العربية وجماعات الجهاد الأفغاني تمولها أمريكا الليبيرالية في حربها ضد روسيا الاشتراكية وما الدين إلا غطاء لإغراء الشعوب الفقيرة المؤمنة بحمل السلاح.." [1]، فالملاحظ من هذا المقطع هو التباين في الرؤى رؤية نبيل الذي يعتبر الجماعة التي يصاحبها مثالا للدين الإسلامي وموقف الوالد الذي يعتبرها خارجة عن القانون وأنها تتاجر باسم الدين، وبالتالي وجب الابتعاد عنها، ونتيجة للشجارات الكثيرة بينهما وعدم التفاهم أصبح نبيل يكره والده كثيرا وهو ما دونه في المذكرات التي عثر عليها بعد وفاته الجمعة 4 فيفيري :"كرهت الدراسة والثانوية والأساتذة وكل شيء، أبي أيضا بدأت أكرهه لماذا لا يصلي ويصوم مثل جميع المسلمين؟ألا يخاف من عذاب القبر ومن نار جهنم؟" [2]،"إنه سيغضب علي ويحتقرني قررت أن أبقى في البيت طوال العطلة، وأنا مدرك أن أبي سيأخذني بنفسه إلى الثانوية يوم العودة"[3]فكان نبيل دائما يسعى الى دعوة كل من أبيه وأخته إلى الدخول في الإسلام "يجب إقناع أبي بالكف عن شرعيته والدخول إلى الإسلام، يجب أن أفعل قبل قيام الخلافة مهما يكن لا أريد الشر لوالدي ولا أختي ."[4] وعليه نستنتج التباين في المواقف، موقف نبيل الذي أعتبر نفسه مسلما حقيقيا فبالتالي وجب عليه دعوة أبيه وأخته إلى الإسلام، وموقف الأب الذي يعتبر الدين حرية شخصية ولكل واحد الحق في اختيار الدين الذي يناسبه . دائما يستنجد بالله لإعانته لإعادتهم إلى الطريق المستقيم "ربي ساعدني على فتح قلبه المغلق بالآيات الشيطانية" [5] حتى أنه تمنى له المرض بدل أمه لعله يكون سببا في رجوعه إلى

[1]–المصدر السابق ص136.

[2]– نفسه، ص 135.

[3]–نفسه، ص 139.

[4]–نفسه،ص 140

[5]–نفسه، ص 141

الطريق، "كان الأولى بهذا المرض الخطير أن يعصف بأبي الكافر، هو الذي يستحق عقابا كهذا لعله يرجع إلى الطريق الصواب فيصوم ويصلي ،أبي يتصور نفسه فرعونا لا يصيبه شيء من بلايا الدنيا لذلك لا يشعر بحاجة إلى الإيمان وطلب العناية من الله ."[1] لكنه رغم اختلافهما في الدين يطلب الهداية له دائما .إن الصراع بين أفكار الإبن والأب واضحة والنهاية غير معروفة على الرغم من موت الابن نبيل .

تتطور الأحداث فنعرف أن ياسين أمر نبيل بقتل أبيه الكافر ليبين أنه مستعد ليضحي بأغلى ما عنده لإرضاء الجماعة المتطرفة، لكن نبيل تردد في فعل ذلك لأن ذلك الذي أوصى بقتله هو والده . "ماذا سأفعل الان؟ ياسين يقول أقتله إنه كافر وزنديق ."[2] "...أيقتل الولد أباه بهذه السهولة ."[3] ومن ثم يتجلى لنا الصراع بين الشخصيتين، شخصية ياسين الذي يعتبر والد نبيل كافرا عقوبته القتل، وشخصية نبيل الذي يبدو حائرا ومترددا أيقتل أباه لحسن نيته للانضمام الى الجماعة وبين عاطفته اتجاه هذا الأخير، حتى أنه طلب منه قتل والده "أقتله ...لا أقتله...أقتله....لاأقتله ...وياسين ينتظرني ... ماذا أقول له؟ رأسي يغلي وبصري مشوش... سأخرج حالا ...لا استطيع البقاء هنا..."[4] فنلاحظ الصراع الداخلي الذي يعيشه نبيل بين قتل أبيه وبين حبه له هذا ما استنتجناه من خلال الحوار الداخلي (المونولوج) والذي يعتبر آلية من آليات التعدد الصوتي والمونولوج هو" الكلام الداخلي الذي يدور في خلد الشخصية الروائية حيث يستحضر موقفه وموقف الآخر أي الحوار الذي يدور بين الشخصية و بين نفسها"[5]، وفي مقطع آخر يؤكد خوفه من صديقه ياسين عندما أجبره والده على حلق لحيته" كنت أفكر في موقف ياسين حينما يراني حليق

[1]–المصدر السابق، ص 164

[2]–نفسه، ص 224

[3]–نفسه، ص 226

[4]– نفسه، ص 228

[5]– عبدلي فروجة:" الكتابة البوليفونية في الرواية النسائية المغاربية"، ص33

الرأس، أكيد سيغضب مني" [1]، وبالتالي يتبين لنا ضعف شخصية نبيل وعدم قدرته على تحديد مصيره، واتخاذ قراراته هو بدل أن يأخذها عنه الآخر ون، وعليه فإن الصوت الديني المتطرف تجسد في شخصية نبيل وهي شخصية رقيقة هشة لا يستطيع تحديد مصيره، أين فضل الانتحار بدل القول لياسين الذي أمره بقتل والده.

وفي الأخير يقرر نبيل قتل نفسه بدل أبيه "صوب الرصاصة باتجاه صدره رفض أن يعود الى ياسين بدون تنفيذ المهمة القذرة " [2]فمن خلال هذا المقطع يتجلى للقارئ موقف آخر حب الابن لوالده و حبه لياسين وجماعته. وهو الأمر الذي انتهى إلى انتحار نبيل ليتبين للقراء الطريقة التي توفي بها نبيل وهي الانتحار وبالتالي يؤكد الموقف الذي ذهبنا إليه سابقا وهو أن هذه الأصوات المتدينة (الجماعة الاسلامية) هي أصوات متطرفة لا تمت للدين بأية صلة، وفي مقطع آخر يؤكد خوفه من صديقه ياسين عندما أجبره والده على حلق لحيته" كنت أفكر في موقف ياسين حينما يراني حليق الرأس، أكيد سيغضب مني" [3]، وبالتالي يتبين لنا ضعف شخصية نبيل وعدم قدرته على تحديد مصيره، ولهذا لم يتخذ قراراته هو بنفسه بدل أن يأخذها عنه الآخرين، وعليه فإن الصوت الديني المتطرف تجسد في شخصية نبيل ، أين فضل الانتحار بدل القول لياسين الذي أمره بقتل والده، ومن هنا جاء صراعها مع كل من يخالف منظورها وتتصادم مع آرائها وعليه فإن الصوت الديني المتطرف هو أحد الأصوات المتصارعة في الرواية الأمر الذي عزز من بوليفونيتها.

.د- صوت ياسين / الصوت الديني :

[1]- محمد ساري:" القلاع المتآكلة، ص 135.

[2]- نفسه، ص228

[3]- نفسه،ص 135.

كان مرتبط بالجماعة الإسلامية، وهو صديق نبيل فقد أقنعه بالانضمام إليهم، "قال لي ياسين بأن الله يغفر الذنوب جميعا عندما يتوب الانسان."[1] من خلال هذا المقطع يتضح لنا جليا تباين المواقف · موقف ياسين الذي يرى أن الإنسان مهما يرتكب من ذنوب فإن الله يغفرها له، وموقف نبيل المرتد وغير المقتنع به·

يبدو أن ياسين ملتزم بأدا ء الصلاة ولا يتردد في ذلك، ولكن المؤلف قد يكون أراد أن يعكس لنا صورة الإنسان المتدين الذي لا يدرك حدود تدينه · ومن هنا تقدم الرواية لنا جوانب متعددة من مفهوم التدين، حيث نجد من يراه طريقا قد يقود أصحابه إلى الانحراف وارتكاب المحرمات، مثل قتل النفس بغير حق، ثم اقترب مني وحط المسدس في يدي وقال "اضغط هنا وتخرج الرصاصة، رمش عين وأنت أصبحت جنديا من جنود الله ومن المبشرين بالجنة ندخلك إلى جماعتنا، وتصبح واحدا منا ·"[2]وبالتالي نتج عنه التصارع من شخصيتين شخصية ياسين الذي أراد إقناع نبيل بأن قتل النفس دليل على انضمامه إلى جماعته موشخصية نبيل الذي تردد في الأمر · "تقترب منه هكذا،وعلى بعد متر، ثم ترفع المسدس وتطلق النار، المسالة بسيطة، لا تأخذ منك دقيقة"[3] ومن ثمة نتعرف على مفهوم الدين عند اتباع ياسين وجماعته الذين يعتبرون كل مخالف مرتد مستحق القتل، وهنا نكتشف جليا الصراع الأيديولوجي بين أعضاء الجماعة الإسلامية المتطرفة وبين الدولة(الشرطة) والجماعة الإسلامية التي ارادت حسب منظورها إعادة إقامة الدولة الإسلامية عن طريق مخالفة شرائع الدين ومنظور الدولة التي اعتبرت هذه الأخيرة تهديدا للإنسانية والمجتمع، ما نتج عنه استشهاد العديد من الأناس الأبرياء إبان تلك الفترة·

[1]–المصدر السابق، ص 135

[2]– نفسه، ص 226

[3]– نفسه، الصفحة نفسها.

هـ- صوت نصيرة(الصوت المتحرر):

تجسد نصيرة صورة المرأة المتحررة التي تعيش حياتها بكل حرية دون التقيد بما يفرضه المجتمع، حيث كانت تشبه رشيد كونهما لا يقيمان الصلاة "فتاة في العشرين، منطلقة شعرها يتدفق على كتفيها كريش الطاووس، الابتسامة بريئة بلا حسابات، سروال جينز موضة"[1]، فمن خلال هذا المقطع نستنتج ملامح هذه الشخصية والتي تتمتع بالحرية والتفتح وعدم الاهتمام بالعادات والتقاليد، دخلت في علاقة غرامية مع زميلها رشيد أيام الجامعة ما نتج عنه فقدان العذرية" أنا خائفة يا رشيد...خائفة...سيقتلني أبي إن عرف ما حدث ...واش داني...واش داني...أنا مهبولة...مهبولة"[2]، والملاحظ أن هذه الشخصية تعيش الصراع بين حبها لحبيبها واستسلامها له ومن ثمة فقدانها للعذرية، وبين والدها الذي سيقتلها لو عرف بما فعلته، ونتيجة لهذه العلاقة اكتشفت بأنها حاملة، فاهتدت إلى حل واحد ووحيد وهو اجهاض الجنين والزواج من رشيد" قلت لك أنه جزار حقيقي ...آلمني كثيرا...لا أعرف ماذا أدخل بداخلي، ولكني أحسست بآلة حادة تمزق أسفل بطني...كنت أحسب وأسمع ولكنني لا أستطيع التحرك حتى صراخي لم يخرج، عذاب وحشي أن تحس بشخص يعبث بجسدك يؤلمك وأنت عاجز عن رد الفعل عن إيقافه عن الدفاع عن نفسك "[3]، وبعد ذلك يقوم رشيد بزيارة منزل والدها لطلبها للزواج وبذلك تكون معه أسرة ، غير أن علاقتهما قد أشارت لموقفين مختلفين :موقف رشيد ونصيرة وموقف والده ووالدها أي موقف المجتمع وتقاليده .

وفي مستوى لاحق من الأحداث ندرك بأن هذه الشخصية قد أصيبت بمرض سرطان الثدي، ولم تتقبل هذا المرض عندما معرفتها فدخلت في حالة هيستيريا وبكاء شديد ورفضت العلاج وقالت بأن هذا المرض هو عقاب لها من الله على اجهاضها، وبعد موت

[1]- المصدر السابق، ص72

[2]- نفسه، ص79

[3]- نفسه، ص84.

ابنها نبيل، قررت التغيير في حياتها فأصبحت تصلي وتصوم وبذلك مارست التعاليم الإسلامية، وهو الأمر الذي لم يتقبله زوجها رشيد " –أتعرف أن زوجتي تصلي؟

– تصلي؟ ألم تقل يوما أنها متعصرنة ومتحضرة وتؤمن بالأفكار التقدمية مثلك تماما"[1]، فالملاحظ هنا الصراع الإيديولوجي بين رشيد وبين زوجته نصيرة رشيد الذي يعتبر أن الصلاة والصيام تخلف وبالتالي العصرنة والتحضر حسب منظوره تعني تجاوز الدين والإلحاد وبين زوجته نصيرة التي تعتبر العصرنة والتحضر كفر ومن ثمة تكون التوبة عن طريق العودة إلى طريق الدين" بسبب تلك الصديقة المتجلببة التي تزورها دوما أستاذة تشتغل معها في الثانوية"[2]، ومن ثمة تزعزعت قناعة نصيرة التي كانت تؤمن بها والأفكار التحررية التي تعتنقها"أول مظاهر التدين عند زوجتي صوم رمضان، تذرعت بكون جميع زميلاتها في الثانوية صائمات، وأنهن سيحتقرنها إذا اكتشفن أنها لا تصوم" [3]،فالمؤلف هنا يظهر الجانب الضعيف لدى المرأة، فرغم تحررها وتبنيها للأفكار التقدمية إلا أنها تبقى عرضة للتأثر بسهولة مما يؤدي إلى ضعفها وانصياعها.

أصيبت هذه الشخصية بالمرض الخبيث، أصبحت أكثر تدينا واعتبرت هذا المرض تكفيرا عن الذنوب والخطايا التي ارتكبتها " ماذا فعلت نصيرة الوديعة حتى يهزها الشعور بالندم وتعتبر مرضها عقابا لها"[4]، ومن ثمة التدين هو وسيلة غسل الذنوب وتكفيرها وتوالت عليها المصائب أين استشهد ابنها نبيل: منذ وفاة نبيل فقدت شهية الأكل كأنها مضربة عن الطعام كم مرة نبهتها إلى أن جسدها أضحى جلدا وعظاما ولكنها تهز كتفيها ولا تجيب...لم يعد شيء يشدها إلى الحياة كأنه نوع من الانتحار الم تعمد"[5]، وبالتالي يبدو لنا هذا الصوت صوتا متخبطا لم يستقر بعد، ففي البداية أراد التحرر والانفتاح وبعد ذلك العودة إلى الأصل

[1]– المصدر السابق، ص61

[2]– نفسه، ص89

[3]– نفسه، ص88

[4]– نفسه، ص135

[5]– نفسه، ص136.

والدين ورغم ذلك لم يقتنع بحالته، وازد ادت الم أساة مع موت الابن فقرر هذا الأخير الانتحار البطيء عن طريق الإضراب عن الطعام.

وعليه تجسدت البوليفونية في هذه الرواية من خلال حضور الشخصيات كأصوات حاضرة مشاركة في أحداث الرواية، واختلفت طبيعة هذه الأصوات، فنجد الصوت المثقف والصوت الديني المتطرف، والصوت المتحرر، وكل هذه الأصوات تنازعت وتصارعت فيما بينها ولم نرصد وصولها إلا حل نهائي، وبالتالي جاءت نهاية الرواية نهاية مفتوحة، الأمر الذي ترك للقارئ حرية في مواقفه أو مخالفة تلك المواقف والإيديولوجيات التي تجلت من خلال الوعي الذي تحمله كل شخصية وتتمسك به على أنه يمثل كل الطروحات الفكرية التي انتشرت وسميت بالعشرية السوداء في الجزائر حيث كان الصراع حادا بين الإسلاميين والدولة .صراع بين الطاغوت وبين الإرهاب وعليه يطرح السؤال ومن هو الطاغوت ومن هو الإرهاب ؟.

خاتمة

في خاتمة بحثنا الذي خصصناه لدراسة التعددية الصوتية في رواية"القلاع المتآكلة"، والإجابة عن سؤال تعدد الأصوات فيها وتوصلنا إلى النتائج:

– ظهر مصطلح البوليفونية مع الناقد الروسي ميخائيل باختين، الذي اختار هذا المصطلح للتعبير عن أشكال الوعي والصراع في الرواية.

– رواية القلاع المتآكلة رواية متعددة الأصوات، اعتمدت على تعدد الرواة وتعدد الشخصيات وهذا ما خلق تعددا في الرؤى ووجهات النظر.

– تقوم الرواية المتعددة الأصوات على تعدد الشخصيات وتعدد اللغات والإيديولوجيا وأنماط الوعي.

– تتمتع شخصيات الرواية باستقلاليتها وتمارس وعيها بحرية دون ضغوط.

– استخدم الروائي محمد ساري في سرد أحداث الرواية اللغة العربية الفصحى مع ادخال بعض العبارات العامية في مواضيع معينة خصوصا في الحوارات التي دارت بين الشخصيات.

– تتميز الرواية بخصائص ومميزات تجعلها فريدة من نوعها مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى، فهي تتميز بالسرد القصصي والنثر، كما أنها شاملة في تناول مواضيعها مما يعكس تجارب الفرد والجماعة.

– تتنوع المنظورات السردية في الرواية، حيث تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب وتعتبر هذه المنظورات عنصرا أساسيا في بنية الرواية المتعددة الأصوات ويتجلى ذلك من خلال الحوار وتطورات الأحداث حيث تختلف وجهات النظر دون الوقوع في فخ التكرار وهذا هو جوهر السرد في الرواية البوليفونية.

– وظف الروائي تقنية مبتكرة في كتابة اليوميات أو المذكرات الموثقة بالتاريخ، كانت هذه اليوميات تعود لابن رشيد(نبيل) التي عاشها أثناء دخوله مع مناضلي الحركة الاسلامية المتطرفة مما أضفى طابعا تاريخيا على السرد في الرواية، وساهم هذا الأسلوب في تعزيز مصداقية الأحداث المقدمة.

– يستدل الروائي حضور الراوي العليم بأصوات الشخصيات الأخرى من داخل الرواية مثل (رشيد، نبيل، سي ناصر، سي أحمد...) ويتناوب السرد بين هذه الشخصيات مما يمنع أي منها من السيطرة على السرد بشكل كامل.

– رواية القلاع المتآكلة هي عمل أدبي تاريخي يستعرض السنوات الصعبة التي عاشتها الجزائر مع التركيز على أهم الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد بعد الاستقلال.

– اعتمد الروائي على النهاية المفتوحة التي تتطلب تفاعلا مع القارئ، ففي رواية "القلاع المتآكلة" تطرح سؤال حول مصير "عين الكرمة" مما يتيح للقراء فرصة الإجابة عن هذه التساؤلات واختيار النهاية التي تناسبه.

– كان للحوار دور بارز في هذه الرواية حيث أصبح وسيلة لتقديم الحقيقة مما أتاح للصوت أن يكشف عن ذاته ووعيه، ففي الرواية المتعددة الأصوات يتم التركيز على ردود الأفعال من خلال الحوار الذي أتاح للشخصية فرصة التعبير عن نفسها وفهم الآخر.

–ارتكز الصراع على مواقف الشخصيات ورؤاها وطروحاتها الفكرية ولهذا كان تبئير الكاتب للصراع بين نبيل ووالده كما كان صراع والده مع أبيه وكان التاريخ يعيد نفسه ولكن في اتجاهات مختلفة متناقضة .

– تعد هذه النقاط من أبرز ما يميز موضوع بحثنا ولا تزال بحاجة إلى المزيد من البحث والتطور والمعالجة، وفي الختام نسأل الله أن يكون قد وفقنا في دراستنا لهذا الموضوع وأن نكون أضفنا للعلم القليل مما تعلمناه من أساتذتنا الأفاضل الذين نتقدم بجزيل الشكر لهم ونسأل الله العلي القدير التوفيق والنجاح.

الملاحق

- تعريف الروائي:

هو محمد ساري هو كاتب وروائي وناقد أدبي ومترجم جزائري ولد في عام 1958 في شرشال ولاية تيبازة .حصل على شهادته من جامعتي "الجزائر" و "السوربون" في باريس، ويشتغل حاليا في منصب أستاذ في النقد الحديث ونظرية الأدب والسيميولوجيا في جامعة "الجزائر 2" يكتب باللغتين العربية والفرنسية،كما ترجم روايات كثيرة من الفرنسية الى العربية لروائيين جزائريين على غرار مالك حداد وياسمينة خضراء ومليكة مقدم وغيرهم وله 9 كتب لالغة الفرنسية وله العديد من الإصدارات في مجالات الرواية والنقد .أهم اعماله:

1. في النقد الأدبي:

- البحث عن النقد الأدبي الجديد، دار الحداثة، بيروت،لبنان، 1984.

-محنة الكتابة،دراسات نقدية، دار البرزخ،الجزائر،2007.

-الأدب والمجتمع، دار الأمل،الجزائر2009.

2. في الإبداع الروائي :

-الغيث، منشورات البرزخ،الجزائر،2007.

- الورم، منشورات الاختلاف، الجزائر،2002

-على جبال الظهرة، المؤسسة الوطنية للكتاب،1988.

3. الكتب المترجمة:(من الفرنسية الى العربية)

- مايسة باي :أتسمعون.....صوت الأحرار؟ تر: محمد ساري منشورات البرزخ،الجزائر،2007.

- جمال السويدي: أمستان الصنهاجي، تر:محمد ساري، منشورات التل،الجزائر.

- حميد سكيف: سيدي الرئيس، تر: محمد ساري، دار المحكمة، الجزائر.

- حكاية الحكاية :

رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري ،رواية جزائرية صدرت 2013 ، وردت حوالي 237صفحة ، وقعت أحداثها في قرية عين الكرمة في فترة التسعينات أو ما يسمى العشرية السوداء

تدور أحداث الرواية حول ثلاث شخصيات فكان المحامي "عبد القادر بن صدوق" شخصية راو وبطل القصة في نفسه، إضافة الى "رشيد بن غوسة" وابنه "نبيل"

عاش رشيد حياة تعيسة هذا الأستاذ الشيوعي الملحد وجد جثة ابنه هامدة وسط ساحة المدرسة التي يقطن فيها وبيده مسدس راجع لشرطي مقتول وذلك في وقت متأخرة من الليل فلجأ الى صديقه عبد القادر فطلب منه المجيء، أتت الشرطة ومن ضمنهم سي أحمد محافظ الشرطة الذي يكن صداقة للمحامي الذي لم يحدد نوع الجريمة أهي عملية انتحار أم عملية قتل من طرف ال جماعات الإرهابية التي انضم اليها مؤخرا حسب الزي الذي كان يلبسه يوم مقتله،كانت علاقة بأبيه متوترة بشأن الدين .لم تتوقف المصائب في عين الكرمة فقد عاش سكانها حياة رعب وقلق وخوف حيث حدثت أ بشع الجرائم منها مقتل ستة رجال شرطة من طرف الإرهاب فقد نصبوا لهم كمينا مسلحا ومن بينهم يوسف عياشي موكل المحامي عبد القادر. دفن نبيل في اليوم نفسه بعدما أكدت مصلحة حفظ الجثث أنه قد انتحر .لم تنتهي مصائب رشيد فقد أصيبت زوجته نصيرة بسرطان الثدي لكن كل هذه الكرب جعلته شخصية ضعيفة ومنهارة كل هذه الأحداث أدتى إلى تذكر المحامي لخياته التعيسة التي عاش فيها الفقر و الحرمان فقد ماتت كل عائلته بسبب الحالة المزرية التي كان يعيشونها ألى أن بقي وحيدا عازبا .

بعد التحقيقات المتواصلة بخصوص مقت مبيل ظهرت حقائق جديدة وهي عثور الأب على دفتر يومياته و قام بتقديمها لصديقه المحامي عرف من خلالها أن نبيل مستهدف من طرف الجماعات الإسلامية المتطرفة وذلك من خلال زميله ياسين الذي طلب منه قتل والده لأنه كافر وملحد لكي ينضم لجماعته لكنه قرر قتل نفسه بدل ابيه وهذا ما اكدته مصلحة حفظ الجثث وكذا مذكراته .انتهت الرواية بنهاية مفتوحة متسائلا :أين عين الكرمة ؟هل ستعود يوما؟ ومتى تعود؟

قائمة المصادر والمراجع

أ -المصادر:

- ساري محمد: "القلاع المتآكلة"، منشورات البرزخ، الجزائر،2013 .

1. المراجع:

1- المعاجم:

- القاضي محمد والآخرون: "معجم السرديات" ، "معجم محمد علي" ، تونس ،ط1،2010 .
- حجازي سمير: المتق ، "معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة"،(فرنسي عربي/عربي فرنسي)، دار الراتب للنشر والتوزي، القبة، الجزائر، د ت.
- زيتوني لطيف: "معجم مصطلحات نقد الرواية،" دار النهار للنشر، لبنان، ط1 2003.

2،المراجع بالعربية:

- أللقيدر عبد الرحمان: "الرواية البوليفونية"، المقومات النظرية والخصائص الفنية،أفكار الدراسات متاح على الشبكة العنكبوتية، نقلا عن ساري محمد الأدب والمجتمع، دارا لأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2009.
- إبراهيم عبد الله: "السردية العربية" (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،1992م.
إبراهيم عبد الله: "المتخيل السردي" (مقاربات في التناص واللغة والدلالة)المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م .
- الحمداني حميد: "النقد الروائي والايديولوجيا"، "من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النقد الروائي"، المركز الثقافي، بيروت، لبنان،ط1،م.
- العيد يمنى: "الراوي الموقع والشكل"، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، ط1 1989.

- المرزوقي سمير ، جميل شاكر : "مدخل إلى نظرية القصة" (تحليلا وتطبيقا) ، الدارالتونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط، د ت.
- بعيو نورة :آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية مدن الملح وثلاثية أرض السواد "لعبد الرحمان منيف "،دار الأمل للنشر والتوزيع ،الجزائر .
- بوعزة محمد: "تحليل النص السردي"، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010.
- حمداوي جميل: "المقاربة الكرونوطرينة بين النظرية والتطبيق"، ط1، 2017 .

حمداوي جميل: "مستجدات النقد الروائي"، منشورات اتحاد الكتاب المغرب ، د ت.

- شرفي عبد الكريم: "مفهوم التناص" (من حوارية باختين إلى أطراس جيرارجونيت)
- دورية دراسات أدبية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر ، جانفي 2008.
- عبد المجيد الحسيب: "حوارية الفن الروائي"، منشورات مجموعة من الباحثين المغرب، 2007.
- عيلان عمر: "في مناهج تحليل الخطاب السردي"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الدراسات2،د ط، 2008 .
- قاسم سيزا: "بناء الرواية"، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة القاهرة، مصر ،ط1،2004.
- محمد بوعزة: "تحليل النص السردي"، منشورات الاختلا1،الجزائر ،ط1،2010.
- محمد نجيب التلاوي: "وجهة النظر في رواية الأصوات العربية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا،2000 .

- مرتاض عبد الملك: "في نظرة الرواية بحث في تقنيات السرد"، عالم المعرفة الكويت،د ط 1990.
- وادي طه: "الرواية السياسية"، دار النشر للجامعات، ط1،1996.

يقطين سعيد: "تحليل الخطاب الروائي"، المركز الثقافي العربي، المغرب ، 1987.

3،المراجع المترجمة:

- باختين ميخائيل: "الخطاب الروائي"، تر: برادة محمد ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1997.
- باختين ميخائيل: "الماركسية وفلسفة اللغة"، تر: محمد البكلوي ويمنى العيد دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ط1، 1989.
- باختين ميخائيل: "شعرية دوستويفسكي"، تر: جميل التكريتي، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب ، 1986 .تزفيتان تودوروف: باختين ميخائيل "المبدأ الحواري"، تر: صالح فخري، رؤية للنشر والتوزيع، لبنان،1992.
- روبرت همفري: "تيار الوعي في الرواية الحديثة"، تر : محمد الربيعي، دار غريب القاهرة، مصر، د س.
- لوبوك بيرسي: "صفة الرواية"، تر: عبد الستار جواد، دار مجدلاوي للنشر الأردن،2010 .
- مانغنو دومنيك: "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب"، تر: محمد يحياتن منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة،ط1، 2008.

2. الرسائل الجامعية:

- داودي سامية: "صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي"، أطروحة دكتور اه جامعة مولود معمري، تيزي وزو، د ت.

- زويش نبيلة: "الشخصية بين النظرية والتطبيق"، رسالة دكتورا ه، جامعة الجزائر2، 2011/2010.
- عبدلي فروجة: "الكتابة البوليفونية في الرواية النسائية المغاربية"، أطروحة الدكتوراه،جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، 2022.

3. الكتب بالغة الفرنسية:

- Dictionnaire de Français : Edition du seuil – Paris – 1997.
- Dictionnaire Hachette : Livre 28 – 58 rue Jean Bluesmen C57007921 Vanve Scepex.

4. المواقع الكترونية:

- حمداوي جميل: "أنواع المقاربات البوليفونية" في تحليل الخطاب والمحفوظات والنصوص متاح على الشبكة العنكبوتية www.alukah.net

الفهرس

مقدمة 1

الفصل الأوّل

تحديد المفاهيم والمصطلحات

1- تعريف الحوارية 6

2- التعددية الصوتية(البوليفونية) 8

أ- تعريف البوليفونيةلغة 8

ب -تعريف البوليفونيةاصطلاحا 9

3- الرواية البوليفونية 10

4- الرواية المونولوجية 12

5- مقومات الرواية البوليفونية 14

أ- التعدد في المواقف الإيديولوجية 14

ب- التعددية في أنماط الوعي 16

ج -تعدد الشخصيات(الأصوات(..... 18

د -التعدد فيالطروحاتالفكرية 20

هـ- التعدد في وجهات النظر(الرؤى(..... 21

الفصل الثاني

تجليات البوليفونية في رواية القلاع المتآكلة

-الأصوات كشخصيات حاضرة في الرواية 26

أ -صوت الراوي / المحامي المثقف 26

ب –صوت رشيد / الصوت الملحد .....35.....

ج –صوت نبيل /الصوت المتطرف .....36.....

د– صوت ياسين / الصوت الديني .....40.....

هـ –صوت نصيرة(الصوت المتحرر) .....42.....

خاتمة .....45.....

الملاحق .....**Erreur ! Signet non défini.**

قائمة المصادر والمراجع .....53.....

الفهرس .....58.....

الملخص :

تناول بحثنا الموسوم بعنوان "تعدد الأصوات في رواية القلاع المتآكلة" للروائي "محمد ساري" تقنية جديدة ظهرت في العصر الحديث وهي تقنية تعدد الأصوات في الرواية والتي تشغل على تباين الأفكار والرؤى والايديولوجيات بين الشخصيات.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى فصلين، فصل نظري تمثل في تحديد المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بتعدد الأصوات والكشف عن مقومات الرواية البوليفونية التي تبنى عليها الرواية. أما الفصل التطبيقي ركزنا على تجليات البوليفونية في الرواية والخاتمة أينا رصدنا أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية : البوليفونية، التعدد الصوتي، الأيديولوجيا، الرؤى.

Abstract :

Our study, titled "Polyphony in the Novel The Eroded Castles" by the novelist "Mohamed Sari", examines a new technique that emerged in the modern era, namely the technique of polyphony in the novel, which revolves around the contrast of ideas, perspectives, and ideologies among characters.

The nature of the research required its division into two chapters: a theoretical chapter, which involves defining the concepts and terms related to polyphony and uncovering the components of the polyphonic novel on which the narrative is built; and an applied chapter, where we focused on the manifestations of polyphony in the novel. In the conclusion, we highlighted the main findings.

Keywords : Polyphony, multiple voices, ideology, perspectives.